

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م



منشورات
مكتبة التراث الإسلامي
الجمهورية اليمنية - صعده
ت: ٥١٣١٥٠





تأليف

الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني

(٣٣٣ - ٤١١هـ)

تحقيق

عبدالكريم أحمد جدبان




بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

المؤلف

هو الإمام المؤيد بالله أبو الحسين، أحمد، بن الحسين، بن هارون، بن الحسين، بـــن محمد، بن هارون، بن محمد، بن القاسم، بن الحسن، بن زيد، بن الحسن، بن علي، بن أبي طالب عليهم السلام.

أبوه

هـــو الحسين، بن هارون، بن الحسين، بن محمد، بن هارون، بن محمد، بن القاسم، بن الحسن، بن زيد، بن الحسن، بن علي، بن أبي طالب عليهم السلام.

أمه

أم الحسن، بنت علي، بن عبد الله الحسيني العقيقي.

مولده

ولد بآمل طبرستان في الكلاذجة (محافظة مازندران حاليا) تقع في شمال إيران على بحر الخزر. ولد سنة (٣٣٣هـــ).

نشأته

نشأ في أحضان أسرة علوية كريمة، تترشف رحيق العلم العلوي، وتتنسم عبق الخلق النـــبوي، (نشأ على السداد، وأحوال الآباء الكرام والأجداد، وتأدب في عنفوان صباه حتى برع فيه) [١].
أخـــذ في طلب العلم والتوفر على المعرفة منذ نعومة أظفاره، مع أخيه الناطق بالحق أبي طالب يحيى بن الحسين.

---

(١) الحدائق الوردية ٢/٦٥.

شيوخه

١ــ أبو العباس أحمد، بن إبراهيم، بن الحسن الحسني (خاله).

٢ــ أبو الحسين، علي، بن إسماعيل، بن إدريس.

٣ــ أبو عبد الله البصري شيخ المعتزلة المتوفى سنة (٣٧٧هــ).

٤ــ قاضي القضاة عبد الجبار، بن أحمد، بن عبد ا لجبار، شيخ المعتزلة المتوفى سنة (٤١٥هــ).

٥ــ قاضي القضاة أبو أحمد، بن أبي علان.

٦ــ أبو بكر المقري أحد علماء الحنفية.

٧ــ الحافظ محمد، بن عثمان النقاش.

٨ــ أبو رشيد، سعيد، بن محمد النيسابوري.

تلامذته

١ــ الإمام الموفق بالله أبو عبد الله الحسين، بن إسماعيل الحسني، والد الإمام المرشد بــالله، وصاحب كتاب ((الإحاطة)) في علم الكلام، وكتاب ((الإعتبار وسلوة العارفين في الزهد)).

٢ــ الإمام أبو الحسين أحمد، بن أبي هاشم، المعروف بالشريف ((مانكديم)) وهو الذي قام بالإمامة بعده بــ((لنجا)) سنة (٤١٧هــ).

٣ــ الشــريف أبــو جعفر الزيدي، الزاهد العابد، الذي استدعاه المؤيد بالله عليه السلام ليستخلفه أكثر من مرة فأبى.

٤ــ الفقــيه أبو القاسم، بن تال الهوسمي الزيدي المتكلم، راوي المذهب عن المؤيد بالله، وجامع ((الإفادة، والزيادات)) المتوفي سنة (٤٢٠هــ).

٥ــ عــلي بــن بــلال الآملي الزيدي، مولى السيد المؤيد بالله وأخيه أبي طالب، وصاحب كتاب ((الوافي)) وتتمة ((مصابيح أبي العباس الحسني)).

٦ــ القاضي يوسف الخطيب الجيلاني صحبه ستة عشر عاما.

٧ــ القاضي أبو الفضل زيد، بن علي الزيدي.

٨ــ أبو منصور، بن شيبة الفرزاذي.

٩ــ الشريف أبو القاسم، بن زيد، بن صالح الزيدي.

١٠ــ الشريف محمد، بن زيد الجعفري.

١١ــ القاضي أبو بكر الموحدي.

١٢ــ أبو الحسين الآبسكوني.

١٣ــ أبو علي، بن الناصر الأطروش.

١٤ــ أبو الفوارس توران شاه، بن خسرو شاه.

١٥ــ أبو عبد الله، بن الحسين، بن محمد سياه سريجان.

١٦ــ أبو القاسم يوسف، بن كج الدينوري، وكان إمام أصحاب الشافعي.

مؤلفاته

قال الموفق بالله: وله عليه السلام التصانيف المعجبة، فمنها في الأصول: ((كتاب النبوات)) وهو يدل على غزارة علمه في الأصول، ثم في الأدب، فإنه بيّن المعارضات التي عورض بها القرآن الكريم، وكشف عن إدحاضها وأبان عوارها بكل وجه، وسلك في ذلك من طريقة علم الأدب ما يدل على علو مترلته وارتفاع درجته.

وله في الأصول: ((التبصرة)) كتاب لطيف، وله في فقه الهادي عليه السلام ((كتاب التجريد)) وشرحه أربعة مجلدة استوفى فيها الأدلة من الأثر والنظر، وأحسن فيها كل الإحسان. وله ((البلغة)) أيضا في فقه الهادي عليه السلام، وله في فقه نفسه ((الإفادة)) مجلد، و((الزيادات)) مجلد، علق ذلك أصحابه عنه. وفيه كل مسألة عجيبة، وفتوى غريبة. ولهذين الكتابين شروح وتعاليق عدة، ومهما طلبت الغرائب فإنها توجد في فقهه عليه السلام منصوصة [1].

---

(١) أخبار أئمة الزيدية /٢٦٨.

من مؤلفاته:

١- كـــتاب النبوات. طبع بغير تحقيق، وأنا أعمل على تحقيقه، أسأل الله العون والتيسير .

٢- كـــتاب الـــتجريد. في فقـــه الهادي يحيى بن الحسين وجده القاسم الرسي عليهما السلام.

٣- كتاب شرح التجريد، تحت التحقيق.

٤- كتاب البلغة في الفقه.

٥- كـــتاب ((الإفـــادة في الفقه)). ويسمى أيضاً ((التفريعات))، تَوَلّى جمعها تلمـــيذه أبو القاسم بن تال: ويتضمن آراءه الفقهية وعليه زيادات وشروح وتعاليق عدّة.

٦ - كـــتاب ((الـــزيادات)). فتاوى ومسائل عليه زيادات، وشروح، وتعاليق عدة، منها شرح القاضي أبي مضر.

٧ - كتاب ((نقض الإمامة على ابن قبة الإمامي)). صنفه في شبابه.

٨ - كـــتاب ((إعجـــاز القـــرآن في علم الكلام)). ذكره الجنداري في رجال الأزهار.

٩ - كتاب ((التبصرة)) ـــ وهو هذا الذي بين يديك ـــ عليه تعليق لإسماعيل الرازي، وشرح للإمام الهادي الحسن بن يحيى القاسمي.

١٠ - تعليق على شرح السيد مانكديم. ذكره الجنداري في رجال الأزهار.

١١ - الهوسميات. ذكره الجنداري في رجال الأزهار.

١٢ - كـــتاب الحاصر لفقه الناصر. ذكره حُمَيْد في الحدائق الوردية في ترجمة الناصر الأطروش.

١٣ - سياسة المريدين.

١٤ - رسالة جواب قابوس في الطعن على الصحابة. ذكره الحاكم الجشمي في جلاء الأبصار.

١٥ - كتاب الدعوة.

١٦ - ديوان شعر. ذكره آغا بزرك الطهراني في الذريعة — ج٩/ق٣ ص ١١٢٧. وقال: إنه ديوان ضخم.

١٧ - كتاب الأمالي الصغرى. طبع.

علمه

خاض الإمام المؤيد بالله في كل بحر من بحار العلم والمعرفة، والتقط أنفس ما فيها، فكان رأسا في علم الكلام، والحديث، والفقه وأصوله. أخذ علم الكلام وفق منهج المدرسة البغدادية.

كان في الأصل إماميا يرى رأيهم على طريقة والده، بَيْد أنه كان متحرر الفكر، لا يتقبل أي فكرة ويعتنقها إلا بعد فحص وتدقيق، وعندما رأى بعض الأصول الإمامية لا تقوم على بينة من صريح العقل، أو صحيح النقل، ورأى التناقض والتعارض البيِّن في مروياتهم عن الأئمة، أشاح بوجهه عنها، وأخذ في البحث والنظر عن شاطئ أمان يرسو عليه، فألقى بعصاه واستقر به النوى في رياض الزيدية، وأحدث ذلك الانتقال هزة في صفوف الإمامية، مما حدا بالشيخ الطوسي المعاصر له إلى أن يؤلف كتابه الشهير ((تهذيب الأحكام)) ردا عليه وتبيينا له.

قال الطوسي في مقدمة التهذيب: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولي الحمد ومستحقه، وصلواته على خيرته من خلقه محمد وآله وسلم تسليماً، ذاكرني بعض الأصدقاء أيده الله ممن أوجب حقه علينا بأحاديث أصحابنا أيدهم الله ورحم السلف منهم وما وقع فيها من الاختلاف والتباين والمنافاة والتضاد حتى لا يكادُ يتفق خبر إلا وبإزائه ما يضاده، ولا يسلم حديث إلا وفي مقابلته ما ينافيه، حتى جعل مخالفونا ذلك من أعظم الطعون على مذهبنا، وتطرقوا بذلك إلى إبطال معتقدنا، وذكروا أنه لم يزل شيوخكم السلف والخلف يطعنون على مخالفيهم بالاختلاف الذي يدينون الله تعالى به، ويشنعون عليهم بافتراق كلمتهم في الفروع، ويذكرون أن هذا مما لا يجوز أن يتعبد به الحكيم، ولا أن يُبيح العمل به العليم، وقد وجدناكم أشد اختلافا من مخالفيكم، وأكثر تبايناً من

مباينيكم، ووجود هذا الاختلاف منكم، مع اعتقادكم بطلان ذلك دليل على فساد الأصل، حتى دخل على جماعة ممن ليس لهم قوة في العلم، ولا بصيرة بوجوه النظر ومعـــاني الألفاظ شبهة، وكثير منهم رجع عن اعتقاد الحق لما اشتبه عليه الوجه في ذلـــك، وعجز عن حل الشبهة فيه، سمعت شيخنا أبا عبد الله أيده الله يذكر أن أبا الحسين الهاروني العلوي كان يعتقد الحق ويدين بالإمامة، فرجع عنها لما التبس عليه الأمر في اختلاف الأحاديث وترك المذهب ودان بغيره [١].

كـــان الإمـــام المؤيد بالله ذا عارضة قوية، وقريحة صافية، وبديهة حاضرة، ولسان حـــاد، محاورا من الطراز الأول، يناظر ويحاور علماء المسلمين واليهود، فلا يسعهم إلا التسليم له، والإذعان لحجته.

قـــال الشهيد حميد: كان وحيد عصره، وفريد دهره، والحافظ لعلوم العترة عليهم السلام، والناصر لفقه الذرية الكرام [٢].

وقـــال أيضا: كان عليه السلام (بحرا يقذف بالدرر، وحونا يهطل بالدرر، لم يبق فن إلا وقد بلغ فيه الغاية، وأدرك النهاية) [٣].

وقـــال مصـــنف ســـيرته الإمام الموفق بالله: كان عارفاً باللغة والنحو، متمكناً من التصرف في منثورها ومنظومها، وكان يعرف العروض والقوافي ونقد الشعر، وكان فقيهاً بارعاً متقدماً فيه مناظراً. وكان متقدماً في علم الكلام وأصول الفقه، حتى لا يعـــلم أنه في أي العلوم الثلاثة كان أقدم وأرجح. ولم يبلغ النهاية في العلوم الثلاثة غـــيره، وإنما تقدم في علم أو علمين. وكان قد قرأ على الشيخ المرشد أبي عبد الله البصـــري، ولقي علماء جميع عصره واقتبس منهم. وعلق زيادات الشرح بأصفهان عن قاضي القاضاة بقراءة غيره. وحكي عن الشيخ أبي رشيد أنه قال: لم أرَ السيد

---

(١) تهذيب الأحكام ٣/١.

(٢) الحدائق الوردية ٢/٦٥.

(٣) الحدائق الوردية ٢/٦٧.

أبـــا الحسين منقطعا قط مع طول مشاهدتي له في مجلس الصاحب، وكان لا يُغلب إن لم يَغلب، وكانا يستويان إن لم يظهر له الرجحان.

وذكـــر بعض من صنف في أخباره، أن الصاحب الكافي قال ذات ليلة للحاضرين: لـــيذكر كل واحد منكم أمنيته، فذكروا، فقال: أما أنا فأمنى أن يكون السيد أبو الحسين حاضراً وأنا أسأله عن المشكلات وهو يبينها لي بألفاظه الفصيحة وعباراته المليحة. وكان قد فارقه إلى أرض الديلم.

ويُحكى أن يهودياً متقدماً في المناظرة والمجادلة قدم على الصاحب، فاتفق أنه حضر مجلـــس الصـــاحب، فكلم اليهودي في النبوات حتى أعجزه وأفحمه، فلما قام من المجلـــس لـــيخرج قال له الصاحب: أيها السيد أشهد أنك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب.

وحكي عنه قدس الله روحه أنه قال: عزمت على أن أسافر إلى الأهواز للقاء قاضي القضاة أبي أحمد بن أبي علان وسماع مختصر الكرخي عنه، فأنهيت إلى الصاحب ما وقع في قلبي، فكتب كتاباً بخط يده وأطنب في وصفي ورفع عن قدري حتى كنت أســـتحيي مـــن إيصال ذلك الكتاب، فأوصلت الكتاب إلى قاضي القضاة، فقال: مرحـــباً بالشريف فإذا شاء افتتح المختصر. ولم يزد على ذلك ولا زارني بنفسه مع تقـــاعدي عنه من الغد، ولا أزارني أحدا من أصحابه. فعلمتُ أنه اعتقد في كتاب الصـــاحب أنـــه صدر عن عناية صادقة لا عن حقيقة. فقعدت عنه، حتى كان يوم الجمعـــة حضرت الجامع بعد الظهر ومجلسه غاصّ بكبار العلماء، فقد كان الرجل مقصـــوداً من الآفاق، فسئل القاضي أبو أحمد مسألة كلامية، وكان لقي أبا هاشم فقلت لما توسط في الكلام: إن لي في هذا الوادي مسلكاً، فقال: تكلم، فأخذت في الكـــلام وحققـــت عليه المطالبات، ثم أوردت أسئلة عرَّقتُ فيها جبينه، فامتدت الأعين نحوي. فقلت بعد أن ظهرت المسألة عليه: يقف على فضلي القاضي. وسئل شـــيخ إلى جنبه عن مسألة في أصول الفقه، فلما أنهى السائل ما عنده قلت: إن لي في هذا الجوّ متنفساً، فقال القاضي: والأصول أيضا ؟! فحققت تلك المسألة على ذلـــك الشـــيخ، فظهر ضعفه، فسامحته. وسئل شيخ عن يساره عن مسألة في الفقه

فقلـــت: لي في هـــذا القطيع شاة، فقالوا: والفقه أيضاً ؟! فأوفيت الكلام في تلك المســـألة أيضا حتى تعجب الفقهاء من تحقيقي وتدقيقي، فلما ظهرت المسألة كان المجلـــس قـــد انتهى. فقام القاضي من صدره وجاء إلى جنبي فقال: أيها السيد نحن ظنـــنا أن الصدر حيث جلسنا فإذا الصدر حيث جلست، فجئناك نعتذر إليك من تقصـــيرنا في بابك. فقلت: لا عذر للقاضي مع استخفافه بي مع شهادة الصاحب بخطـــه. فقـــال: صدقت لا عذر لي، ثم عادني من الغد في داري مع جميع أصحابه وبـــالغ في التواضـــع، فحضرته فقرأت عليه الأخبار المودَعة في المختصر فمسعتها بقـــراءته، وأمدّني بأموال من عنده، فرددها و لم أقبل شيئا منها، وقلت: ما جئتك عافـــياً مســـتمنحاً، فقد كان حضرة الصاحب أوفى حالاً وأسهل منالاً، و لم يكن هناك تقصير في لفظ، ولا تفريط في لحظ، ففارقته فشيعني مع أصحابه مسافة بعيدة وتأسفوا على مفارقتي [1].

وقال أيضا: وسمعت الشيخ أبا الفضل ابن شروين رحمه الله يقول: دع أئمة زماننا، إنما الشك في الأئمة المتقدمين من أهل البيت وغيرهم، هل كانوا مثل هذا السيد في التحقيق في العلوم كلها أم لا ؟!

قـــال: وسمعت القاضي أبا الحسين الرفّاء يقول: ليس اليوم في الدنيا أشد تحقيقاً في الفقه من السيد أبي الحسين الهاروني.

وحكـــي أن المؤيد بالله سئل عن الطلاق الثلاث بلفظة واحدة في مجلس الصاحب، فكلمه القاضي أبو القاسم بن كج، وكان إمام أصحاب الشافعي، وآل الكلام إلى جميع من حضر من الفقهاء، فانقطعوا في يده، فقال الصاحب: يقال: لا علم لطائفة فيهم هذا الأسد، يعني المؤيد بالله.

---

(١) أخبار أئمة الزيدية / ٢٦٥ – ٢٦٧.

وحكـــي أنه ورد عليه من كلار مسائل صعبة على أصول الهادي، فأجاب عنها، وهذه المسائل موجودة، فقال الصاحب: لست أتعجب من هذا الشريف كيف أتى بهذا السحر، وإنما أتعجب من رجل بكلار كيف اهتدى إلى مثل هذه الأسئلة [(١)].

وقال الشهيد حميد: ولقد حكى لي بعض أصحابنا الواصلين من ناحية العراق، وهو الفقيه الفاضل الحسن بن علي بن الحسن الديلمي اللنجائي رضي الله عنه، أنه بات لـــيلة مـــن الليالي ومعه رجل من الصالحين، فبات ذلك الرجل يعبد الله عز وجل والســـيد المؤيد بالله بالقرب منه، فلما طلع الفجر قام المؤيد للصلاة، فقال له ذلك الـــرجل: أيهـــا السيد أتصلي بغير وضوء ؟! فقال: لم أنم في هذه الليلة شيئا، وقد استنبطت سبعين مسألة. ولقد كان علماء عصره يعجبون من تحقيقه وشدة تدقيقه. ولا عجـــب من أمر الله يؤتي فضله من يشاء، ولذرية الرسول صلى الله عليه وآله المزّية على من عداهم، والفضل على من سواهم.

ولقـــد سمعـــت شيخنا الفاضل العالم محيي الدين محمد بن أحمد بن الوليد القرشي الصـــنعاني رضي الله عنه يحكي أن السيد المؤيد بالله قدس الله روحه، لما توفي وأقبل الناس إلى أخيه السيد أبي طالب عليه السلام يسألونه، فقال له قائل: أين كان هذا العـــلم في حياة السيد أبي الحسين ؟! فقال: أوكان يحسن بي أن أتكلم والسيد أبو الحســـين في الحياة ؟! مع أن علم السيد أبي طالب غزير، وفهمه جم كثير، على ما نحكي ذلك.

وروينا أنه قيل لأخيه السيد أبي طالب عليه السلام: أتقول بإمامة أخيك؟ فقال: إن قلنا بإمامة زيد بن علي، فما المانع من القول بإمامة أخي؟! فانظر كيف شبهه عليه الســـلام بأعلى الأئمة قدراً، وأغزرهم علماً، لأنا قد بيّنا أنه أقام خمسة أشهر يفسر سورة الحمد والبقرة، وذكرنا غير ذلك مما يكثر [(٢)].

---

(١) أخبار أئمة الزيدية /٢٦٩ –٢٧٠.

(٢) أخبار أئمة الزيدية / ٢٦٨ – ٢٦٩.

وقـــال أيضـــا: كان في بعض الليالي يطالع مسألة مع الملحدة الدهرية، فاشتبه عليه جـــواب مسألة، فأمر باتخاذ مشعلة وقصد باب قاضي القضاة، بعد قطْع من الليل وهـــدوء الـــناس والأصوات، فأُخبر قاضي القضاة بحضوره، فاشتغل خاطره وهيأ مكانـــاً وجلـــس فيه حتى إذا دخل عليه وحاراه في تلك المسألة وانفتح له جوابها واتضـــح لديه ما كان منها، قال له قاضي القضاة: هلا أخّرت إلى الغد وتعنيت في هـــذا الوقت ؟ فقال المؤيد مغضباً من كلامه متعجبا: ما هذا بكلام مثلك !! أيجوز لي أن أبيـــت وقد أشكلت علي مسألة، ويمكنني أن أجتهد في حلّها ؟! فاعتذر إليه قاضي القضاة وقال: إنما ذكرت هذا الكلام على الرسم الجاري من الناس، وطيَّب قلبه وعاد إلى مترله [١].

وقال الموفق بالله: وحُكيَ أنه وقع بينه وبين قاضي القضاة وحشة واستزادة بسبب مســـألة الإمامة، فتقاعد عن لقائه حدود شهر، حتى ركب إليه قاضي القضاة وقال لـــه: قد بلغك حديث جدك الحسن بن علي وأخيه الحسين وقول الحسين: لولا أن الله فضلك في السن علي حتى أردت أن يكون السبق لك إلى كل مكرمة، لسبقتك إلى فضـــل الاعـــتذار، فإذا قرأت كتابي هذا فاسبق إلى ما كتب الله لك من حق الســـبق، والبس نعلك وقدِّم في العذر والصلح فضلك. فقال المؤيد بالله: قد أطاع قاضـــي القضـــاة أيضا فضل سهمه وعلمه، وعمل بمقتضى ما زاده الله من سهمه، واعتنقا وطالت الخلوة والسلوة بينهما.

وكـــان الصـــاحب يقول: الناس يتشرفون بالعلم والشرف، والعلم تشرف بقاضي القضاة، والشرف ازداد شرفاً بالشريف أبي الحسين.

وكـــان الصـــاحب يعظمه كل الإعظام، وكانت يمينه للسيد المؤيد بالله، ويساره لقاضـــي القضـــاة، وكا لا يرفع فوق المؤيد أحداً، إلى أن قدم العلوي رسولاً من خراسان وكان محتشماً عند السلطان ملك الترك الخاقان الأكبر مبجلاً عنده، حتى أن الصـــاحب استقبله، فلما دخل عليه أجلسه عن يمينه، فلما دخل المؤيد بالله رآه

---

(١) أخبار أئمة الزيدية / ٢٧١.

عـلى مكانـه فتحير، فأشار غليه الصاحب أن يرتفع إلى السرير الذي استند إليه الصاحب، فصعد المؤيد بالله إلى السرير وجلس في الدست الذي كان عليه [1].

شعره

من شعره عليه السلام قوله:

تُهـذِّبُ أخـلاقَ الرجالِ حوادثٌ ... كما أنَّ عينَ السَّبك يُخلصه السَّبكُ
ومـا أنـا بـالواني إذا الدهرُ أمَّني ... ومـن ذا مـنَ الأيـام ويحكَ ينفكُّ
بـلانيَ حيـناً بعـد حـين بلوتهُ ... فـلم أُلـفَ رعديداً يُنهنهُهُ السُّهكُ
وحـنَّكني كَـيْما يقـود أزمَّـتي ... فطحطحـتُهُ حنكاً وما عقَّني الحنكُ
ليعـلمَ هـذا الدهـرُ في كلِّ حالة ... بـأنّي فـتى المضمارِ أصبحَ يَحتكُّ
نمـاني آبـاءٌ كـرامٌ أعـزَّةٌ ... مراتـبُها أنَّـى يُحـيطَ بهـا الدَّركُ
فمـا مُـدركٌ بـالله يـبلُغُ شأوهَم ... وإن يـكُ سـبَّاقاً فغايـتهُ الـتَّركُ
فلا بَرقُهم يا صاحِ إن شمتَ خُلَّبٌ ... ولا رفدُهـم ولسٌ ولا وعدُهُم إفكُ
بهـم زَهَتِ الأعرابُ في كلِّ مشهد ... سـكونٌ ولخـمٌ ثم كـندةُ أوعِكُّ

وقال عليه السلام يمدح الصاحب الكافي:

سـقى عهدها صوبٌ من المُزنِ هاطلٌ ... تحـيَّى بـه تلـك الرُّبى والمنازلُ
مـنازلُ نجـمُ الوصـل فيهنَّ طالعٌ ... يُضـيءُ ونجـمُ الهجـر فيهنَّ آفلُ
ومُرتـبعٌ للَّهـو بـينَ ربُوعهـا ... مسـارحُهُ مأنوسـةٌ والمـناهلُ
ريـاضٌ حَكَـتْ أبرادَ صنعاءَ رُقمُها ... غـداةَ حـباها الوشيَ طلٌّ ووابلُ
وكـلُّ سـحاب شافَة الأرض قُربهُ ... كـأنَّ الـتماعَ البرق فيه مشاعلُ
سـحبنا عطـافَ اللهو في عرصاتها ... وعـنَّ لـنا فـيها غـزالٌ مغازلُ

---

(١) أخبار أئمة الزيدية / ٢٧١ – ٢٧٢.

وطابت لها الأيامُ إذ سمحتْ لنا   بما سَمَحَت والدهرُ عنهنَّ غافلُ
وكان شبابي عاذلاً لعواذلي   وليس لها في أنْ تُعاتبَ طائلُ
نَعمنا بها لم نعرف البؤسَ والأسَى   فلا الجهلُ مُنتابٌ ولا الوصلُ راحلُ
كأنيَ أُغرى بالصبابة كُلمَّا   وشَى بيننا الواشي ولجَّ العواذلُ
ليالِيَ عينُ الوصلِ فيها قريرةٌ   كما أنَّ دمع الهجر أخرقُ هاملُ
وإذ لِمَمي للغانيات صوائدٌ   ولي حَولَ ربّات الحجال حبائلُ
أجُرُّ ردائي صبوةً وصبابةً   هُما شيمٌ أرضى بها وشمائلُ
إلى أن بدا للشَّيب بين مفارقي   أساطيرُ لم تنهض لهنَّ أناملُ
فللأُنس عنّي حيثُ كنتُ تنكُّبٌ   وللهمِّ حولي حيث سرتُ قنابلُ
أتانا الربيعُ الغضُّ في ثوب عفّة   فجاءَ به أُنس من الغيِّ حائلُ
إذا حاول الضُّلالُ إسعافَ أهله   فمن دون ما يبغي مِنَ الصَّوم خامل
كذا مَنْ يسوسُ الصاحبُ القرمُ أمرهُ   تتمُّ له النُّعمى وتَزكو الفضائلُ
ولمّا انتحى النَّيروزُ خدمةَ بابه   تنسَّكَ حتى ليسَ ينحوهُ باطلُ
غَدَا سيفه الظمآنُ في الله مُصلتاً   على منكب الجوزاء منه الحمائلُ
وفصلُ خطاب لم تنله الأوائلُ   إذا عَنَّ لم تشمخ بسحبانَ وائلُ
تبلَّجُ عنه غُرَّةُ الدين والهدى   وشخص الرَّدى من وقعه مُتضائلُ
دعا دعوةً لله جرَّدَ سيفها   فللكفر منها حيثُ شاء زلازلُ
ولمّا شكت أرضُ الجبال خطوبَها   ولاذَت به حين اعترتها الغوائلُ
وأذرَت دُموعاً مثلَ نائله الذي   يفيضُ وهَلْ تُغني الدموعُ الهواملُ
دعا نحوها عزماً كَبَا البرقُ دونَه   وكلٌّ لديه السيفُ والسيفُ قاصلُ
فشقَّ ظلام الظُّلم عن وجه أهلها   ولم يبقَ فيها عن سَنَا العدل عادل
وأوضح فيها للنجاة دلائلاً   وقد غُمِرت تلك النُّهى والدلائلُ

ومـــنْ قبلُ ما حكّمتَ في كل مارقٍ ... أقــامَ مقــامَ الــرّوح منه المَناصل
صــوارمَ واصــلن الطُّــلى فألفــتَها ... وإنّ قضــايا المُــرهَفات فواصــلُ
وشــرَّدت مــن أبقت سيوفُك منهمُ ... ومن دون ما لاقوهُ تَطوي المراحل
ولــيس لهــم إلا الســيوفُ منازلٌ ... ولــيس لهــم إلا الحُتوفُ رواحلُ
ألا أيُّهــذا الصــاحبُ المــاجدُ الذي ... أناملُــه العُلــيا غُــيوثٌ هواطلُ
أنــاملُ لــو كانــت تُشيرُ إلى الصَّفا ... تفجَّــرَ للعــافينَ مــنها جَداول
لأغنيــتَ حتى ليس في الأرض مُعدمٌ ... وأعطيتَ حتى ليس في الأرض آملُ
وكــم لــك في أبــناءِ أحمدَ من يدٍ ... لهــا مَعلَــمٌ يــومَ القــيامة ماثلُ
إلــيكَ عقــيدَ المجد سارت ركابُهم ... ولــيسَ لهــم إلا عُــلاكَ وسائل
فأعطيــتهم حــتى لقد سئموا اللُّهَى ... وعــادَ مــن العُذّال من هو سائل
وأســعدتَهم والــنحسُ لولاك ناجمٌ ... وأعــززتَهم والــذُّلُّ لولاكَ شامل
فكــلُّ زمــانٍ لم تزيِّــنه عــاطلٌ ... وكــلُّ مديــحٍ غير مدحكَ باطلُ

ولما قال أحمد بن محمد الهاشمي المعروف بابن سُكَّرة:

إن الخلافةَ مُذْ كانتْ ومُذْ بدأتْ ... معقــودةٌ بفــتىً مــن آل عباس
إذا انقضــى عُمرُ هذا قامَ ذا خلفاً ... ما لاحتِ الشمسُ وامتدَّتْ على
فقــلْ لمــنْ يرتجيها غيرهُمْ سفهاً ... لــو شِــئتَ روَّحتَ كربَ الظنِّ ...

فأجابه السيد المؤيد بالله قدس الله روحه في حال حداثته:

قُــلْ لابــن سُــكرة يا نَغْلَ عباس ... أضــحتْ خلافــتكُم منكوسَــةَ الراس
أمَّــا المطــيعُ فــلا تُخشَى بوادرُهُ ... يعــيشُ مــا عــاشَ في ذُلٍّ وإتعــاس
فــالحمدُ لله ربِّــي لا شــريك له ... خــصَّ ابنَ داعي بتاج العزِ في الناس[1]

فأحوج المؤيد بالله إلى مفارقة جيلان وامتد إلى الري وأنشد:

---

(١) أخبار أئمة الزيدية / ٢٧٤ – ٢٨٠.

فـــررتُ مـــن العُـــداة إلى العُداة وكنـــتُ عددتُهم زُمَرَ الثّقات
لقـــد خابـــتْ ظـــنوني عند قومٍ يـــرونَ محاســـني من سَيِّئاتي
يُهـــيجونَ الغُـــواةَ عـــليَّ هـــيجاً وهـــم شَرٌّ لديَّ من الغُواة [١]

ورعه وزهده وحلمه

كـــان علـــيه السلام في الورع والتقشف والاحتياط والتقزز إلى حد تقصر العبارة دونه، والفهم عن الإحاطة به. وتصوَّف في عنفوان شبابه حتى بلغ في علومهم مبلغاً منيعاً، وحل في التصوف والزهد محلاً رفيعاً، وصنف سياسية المريدين. وكان عليه الســـلام يحمل السمك من السوق إلى داره، وكانت الشيعة يتشبثون به ويتبركون بحملـــه فلا يمكّن أحداً من حمله، ويقول: إنما أحمله قسراً للهوى وتركاً للتكبر، لا لاعواز مَن يحمله. وكان قدس الله روحه يجالس الفقراء وأهل المسكنة، ويكاثر أهل الســـتر والعفـــة ويميل إليهم، ويلبس الوسط من الثياب القصيرة إلى نصف الساقين قصيرة الكمين. وكان يرقع بيده قميصه، ويشتمل بإزار إلى أن يفرغ من إصلاحه. وكـــان يلبس قلنسوة من صوف أحمر مبطنة يحشوها بقطن، ويتعمم فوقها بعمامة صـــغيرة متوسطة. وكان يلبس جورباً يخيطه من الخِرَق ثم يلبس البطيط. وكان لا يـــتقوَّت ولا يُطعـــم عياله إلا من ماله. وكان يردّ الهدايا والوصايا إلى بيت المال، وكـــان يكـــثر ذكر الصالحين، وإذا خلا بنفسه يتلو القرآن بصوت شجي حزين. وكـــان غزير الدمع، كثير البكاء، دائم الفكر، يتأوّه في أثنائه، وربما تبسَّم أوكشر عن أسنانه.

قال القاضي يوسف: صَحبته ست عشرة سنة فلم أره مستغرقاً في الضحك. وكان لا يفطـــر في شهر رمضان حتى يفرغ من العشاء الآخرة. وكان يداوم على الصلاة بين العشائين، ويُطعم في شهر رمضان كثيراً من المسلمين. وكان يمسك بيت المال

(١) أخبار أئمة الزيدية / ٢٨٢ – ٢٨٣.

بـــيده ويحفظه بنفسه ولا يثق فيه بأحد، ويفرّق على الجند بيده، ويوقّع في الخطوط بيده.

ويُحكـــى أنـــه رضي الله عنه اشتهى يوماً من الأيام لحمَ حوت، فبعث الوكيل إلى الســـماكين فلم يجد فيها إلا حوتاً لم يقطع، وقالوا: لا نريد أن نقطعه اليوم، فعاد إلـــيه وأخـــبره بامتناعهم من قطعه. فوجّه به ثانياً وقال: مرهم عني بقطعه، فأبوا بقطعـــه، فلما عاد إليه حمد الله على أن رعيته لا تحذر جنبته، وأنه عندهم ورعاياه سواء.

وكـــان قدس الله روحه كثير الحلْم عظيم الصفح. يُحكى أنه دخل المتوضأ ليجدد الطهـــارة فرأى فيه رجلاً متغير اللون يرتعد فزعاً، فقال له: ما دهاك ؟ فقال: إني بعثـــت لقتلك. قال: وما الذي وَعَدُوك عليه، قال: بقرة، قال: ما لنا بقرة، وأدخل يده في جيبه وناوله خمسة دنانير وقال: اشتر بها بقرة ولا تعُد إلى مثل ذلك.

وحُكـــي أنـــه قدس الله روحه كان يسير في طريق كلار فطلب ممطَراً له من بُندار صـــاحبه، فقال: هو على بغل لبيت المال، فأنكر عليه وقال: متى عهدتني أستجيز حمل ملبوسي على دواب بيت المال ؟ فأمر بإخراجه وتوفير الكراء من ماله. وكان يصـــرف علـــيه السلام من خاص ماله إلى بيت المال ما يكون عوضاً عما يرسله الكتّاب في أول الكتب وتفرجه بين السطور إلى الكبار.

وحكـــي أن شيئاً من المقشّر حُمل إلى داره لصرفه في مصالح المسلمين، فالتقط منه حـــبّات بعضُ الدجج التي تُقتنى لأكله خاصة، فغرم من ماله أضعاف ذلك، وقيل: إنه صرفَ الدجج إلى بيت المال.

وروى أن ولـــده الأمير أبا القاسم شكا إليه ضيق يده وقلة نصيبه من بيت المال، واستأذنه في الإنصراف، فأطلق له ذلك، فقال له أصحابه: إن أبا القاسم فارس فَارِهٌ ولا غـــنى عن مثله، فلو أطلق له ما يكفيه، فقال: إني أدرّ عليه ما نَصيبه ولا يمكن الزيادة عليه، فإن الله سبحانه أمر بالتسوية بين الأولاد والأجانب.

وكـــان له صديق يتحفه كل سنة بعدد من الرمان، فلما كان في بعض السنين زاد عـــلى رسمه وعادته، فسأله عن ذلك؟ فقال: لأن الله زاد في رماننا فزدنا في رسمك.

فـلما أراد الخروج شكا عن بعض الناس، فقال: رُدّوا عليه رمانه كله، وأمر بإزالة شـكايته ودفـع الأذى عـنه، إلى غير ذلك من الحكايات الجمة في ورعه وزهده وتقشفه [1].

جهاده

عـاش المؤيـد بـالله في عصر يموج بالفوضى والفتن، يحكمه الاستبداد السياسي، وتتقاسمه الدويلات المتنازعة الخارجة على بني العباس بعد ضعف دولتهم المركزية، وحصادهم نتائج استبدادهم وجورهم وتحكمهم في مصائر البلاد والعباد، وجعلهم مال الله دولا وعباده خولا.

وقد نهض المؤيد بالله داعياً إلى الله، خارجاً على الظلمة، فكان أول خروج له سنة (٣٨٠هـ) قبل وفاة الصاحب بن عباد بأربع سنوات، وفشلت حركته، فخلصه الصاحب من انتقام بني بويه الذين كانوا يحكمون الجيل والديلم في تلك الفترة. ثم عـاد مرة أخرى فقام بالإمامة وبايعه الجيل والديلم واستتب له الأمر في تلك البلاد فـترات، وخـرج من يده فترات أخرى، وخاض حروباً طاحنة، وحاربه معارضين أشـداء، مـنهم: أبو الفضل بن الناصر. وتغلب عليه السلام على ((هوسم)) ثم هزمه ((شوزيل))، فعاد إلى الري، ومكث بآمل حتى جاءته الكتب بمناصرة الجيل والديـلم، فعاد وافتتح مدينة هوسم، ثم افتتح آمل، وبقي عليه السلام في كر وفر وجهاد يطول شرحه، حتى توفاه الله يوم عرفة سنة (٤١١هـ) [2].

منهجه في الحكم

أما عن منهجه في الحكم ورؤيته للسلطة فيمكن أن يتبينه القارئ من كتاب دعوته الذي ضمنه المبادئ والأفكار التي قام من أجلها، والذي حدد فيه ما يجب عليه تجاه المجتمع، وما يجب له إن عدل من الطاعة.

---

(١) أخبار أئمة الزيدية / ٢٦٣ – ٢٦٥.

(٢) يرجع في ذلك إلى الحدائق الوردية ٢/ ٧٣ - ٧٨.

قـــال: عباد الله إني رأيت أسباب الحق قد مرجت، وقلوب الأولياء به قد خرجت، وأهـــل الديـــن مستضعفين في الأرض، يخافون أن يختطفهم الناس، ورأيت الأموال تؤخذ من غير حلها، وتوضع في غير أهلها، ووجدت الحدود قد عطلت، والحقوق قد أبطلت، وسنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد بدلت وغيرت، ورسوم الفراعـــنة قد جددت واستعملت، والآمرين بالمعروف قد قلوا، والناهين عن المنكر قـــد وَهـــنوا فذلوا، ووجدت أهل بيت لانبي صلى الله عليه وآله وسلم مقموعين مقهوريـــن مظلومين، لا يؤهلون لولاية ولا شورى، ولا يتركون ليكونوا مع الناس فوضـــى، بل منعوهم حقهم، وصرفوا عنهم فيهم، فهم يحسبون الكف عن دمائهم إحســـانا إلـــيهم، والانقـــباض عن حبسهم وأسرهم إنعاماً عليهم، يطلبون عليهم العثرات، ويرقبون فيهم الزلات، ووجدتهم في كل واد من الظلم يهيمون، وفي كل مرعى من الضلال يسيمون بعضه بعضا، وأموال تنهب نهباً، لا يرقبون في مؤمن ألاً ولا ذمة، وأولئك هم المعتدون، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء:١٠].

ووجـــدت الفواحش قد أقيمت أسواقها وأدية نفاقها، لا خوف الله يُذع، ولا حق الناس يمنع، بل يتفاخرون بالمعاصي، ويتنابزون ويتباهون بالإثم، قد نسوا الحساب، وأعرضـــوا عـــن ذكـــر المآب والعقاب، فلم أجد لنفسي عذراً أن قعدت ملتزماً أحكـــامهم، متوســـط آثامهم، أونسهم ويونسوني، وأسالمهم ويسالموني، فخرجت أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان الله وما أنا من المشركين. ...

أيها الناس أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، والرضى من آل محمد، ومجاهدة الظالمين، ومنابذة الفاسقين، وإني كأحدكم لي ما لكم وعلي ما عليكم، إلا ما خصَّني الله به من ولاية الأمر، يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأحقـــــاف:٣١]، اســـتجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مردّ له من الله، ما لكم من ملجأ يومئذ، ومـــا لكـــم مـــن نكير، تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ومعصية الرسول.

أيها الناس سارعوا إلى بيعتي، وبادروا إلى نصرتي، وازحفوا زحفاً إلى دار هجرتي، انفروا خفافاً وثقالا، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، ولا تركنوا إلى هذه الدنيا وبهجتها، فإنها ظل زائل، وسحاب حائل، ينقضي نعيمها، ويضعن مقيمها، والآخر خير وأبقى أفلا تعقلون، وإن الدار الآخرة لهي الحياة لو كانوا يعلمون، تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين.

أيها الناس مهما اشتبه عليكم فلا يشتبه عليكم أمري، أنا الذي عرفتموني صغيرا وكبيرا، وزاحمتموني طفلا وناشئا وكهلا، قد صحبت النساك حتى نسبت إليهم، وخالطت الزهاد حتى عرفت فيهم، وكاثرت العلماء، وحاضرت الفقهاء، فلم أخل عن مورد ورده عالم بارغ، ومشرع شرع فيه متقن فارع، وجادلت الخصوم نصحاً عن الدين ونضالاً عن الحق المبين، حتى عرفت مواقفي، وكتبت وحفظت طرائقي، وأثبت هذا وما أثري نفسي في أثناء هذه الأحوال، ومجامع هذه الخصال، من تقصير وتعذير، ولا أزكيها بل أتبرأ إلى الله من حولها وقوتها، وإن جميع ذلك من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم.

وأما نسبي إلى جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدونه فلق الصباح، ولا عذر لكم أيها الناس في التأخر عني، والاستبداد دوني، وقد ناديت فأسمعت لتجيبوا دعوتي، وتنحروا لنصرتي، وتعينوني على ما نهضت له من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾ [المائدة:٧٨]، ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١١٠]، ألا فاعينوني على أمري، وتحرَّوا بجهدكم نصرتي، أوردكم خير الموارد، وأبلغكم أفضل المحامد.

عباد الله أعينوني على إصلاح البلاد، وإرشاد العباد، وحسم دواعي الفساد، وعمارة مناهل السداد، ألا ومن تخلف عني وأهمل بيعتي، إلا لسبب قاطع أو لعذر مانع بين الحجة، فإني أحاثيه للخصام يوم يقوم الأشهاد، يوم لا ينفع الظالمين

معذرتهـــم ولهـــم اللعنة ولهم سوء الدار، يوم الآزفة، فأقول: ألم تسمع قول جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « من سمع واعيتنا أهل البيت لم يجبها كبه الله عـــلى مـــنخريه في الـــنار »، ألا فاسمعوا وأطيعوا، انفروا خفافا وثقالاً، وجاهدوا بـــأموالكم وأنفســـكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، قل إن كان آباؤكم وأبناءكم ... الآية، فليتفق كلمتكم، وليجتمع شملكم، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين.

ألا وقد سلك سبيل من مضى من آباءي الأخيار، وسيلفي النجباء الأبرار في منابذة الظالمين، ومجاهدة الفاسقين، مبتغياً فيه مرضات رب العالمين، فاسلكوا أيها الإخوان ســـبيل أتـــباعهم الصـــالحين، وأشياعهم البررة الخاشعين، في المعاونة والمظاهرة، والمكـــاتف والموازرة، وتبادروا رجالاً، وسارعوا إليّ إرسالاً، وإياكم والجنوح إلى الـــراحة طالبين لها وجوه العلل، مغترين بما فسح الله لكم من المهل، وعن قليل يحق الحق، ويبطل الباطل، ويعاين كل امرئ ما اكتسب، ويجازى كلٌ بما اجترم، يومئذ يوفـــيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين، فستذكرون ما أقول لكم، وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد [١].

وفاته

تـــوفي علـــيه الســـلام يـــوم عرفة سنة (٤١١هـــ) عن (٧٨ سنة)، ودفن في يوم الأضـــحى، وصلى عليه السيد ((مانكديم))، وبني عليه مشهد مشهور مزور في لنجا من محافظة مازندران.

عـــرج عـــلى قـــبر بصـــعدة   وابـــك مرموســـا بلـــنجا
واعـــلم بـــأن المقـــتدي بهما   ســـيبلغ مـــا تـــرجا

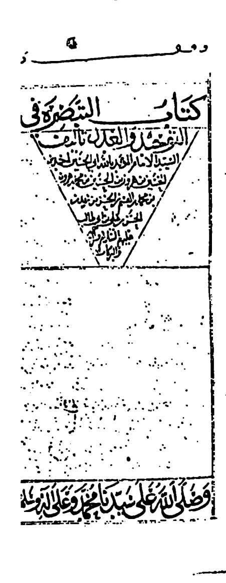
(١) الحدائق الوردية ٢/ ٨٦ – ٨٧.

منهج التحقيق

بمـــا أن الكتاب يكاد يكون مفقودا لولا أن مَنَّ الله سبحانه بنسخة مخطوطة، لعلها الوحـــيدة فيما أعتقد، لأني رغم بحثي وتنقيبي المستمر عنها، بيد أني لم أحصل على نســـخة أخرى في اليمن، و لم أقف عليها أيضا في فهارس كثير من مكتبات العالم.

نماذج من المخطوط

الصفحة الأولى

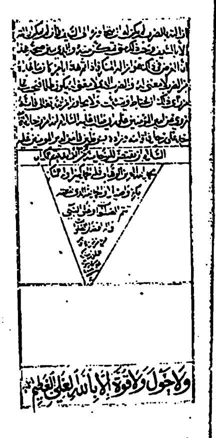


كتاب التبصرة في
التوحيد والعدل تأليف
السيد الإمام المؤيد بالله أبي الحسين أحمد
بن الحسين بن هرون بن الحسين بن محمد بن هرون
بن محمد بن القسم بن الحسن بن زيد بن
الحسن بن علي بن أبي طالب
عليهم السلام والرحمة
والبركات

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

الصفحة الثانية

الصفحة الأخيرة



ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ـــ لهذا فقد كنت مضطرا لتصحيح وتقويم النص اجتهادا.

ـــ وزعت النص إلى فقرات، والفقرة إلى جمل، مستخدما علامات الترقيم المتعارف عليها.

ـــ خرجت الأحاديث المذكورة في الكتاب، والوقائع التاريخية التي يشير إليها المؤلف.

ـــ علقت بعض التعاليق التي رأيت أنها ضرورة لتبيين وتوضيح مقصود المؤلف.

ـــ وضعت مقدمة تشتمل على دراسة موجزة عن الكتاب، وترجمة مختصرة عن المؤلف.

ـــ وضعت عناوين للمباحث.

ـــ وضعت فهرسا.

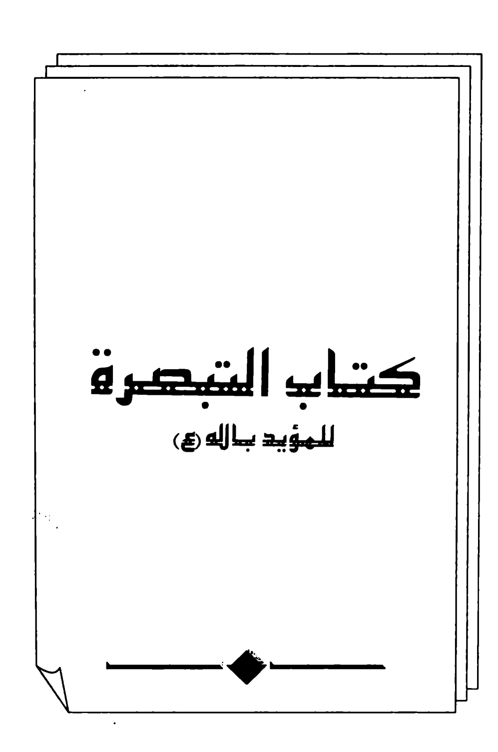
سائلا الله سبحانه أن يتقبل منا إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين.

عبد الكريم أحمد جدبان

اليمن ـــ صعدة

جماد أول /١٤٢٢هـــ الموافق ٨/ ٢٠٠١م




كتاب التبصرة
للمؤيد بالله (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السيد الإمام أبو الحسين أحمد بن الحسين بن هارون الحسني عليه السلام: الحمد لله على فواضل قسمه، وسوابغ نعمه، وصلواته على خيرته، محمد النبي وعترته.

[التفكير فريضة إسلامية]

اعلم أن أول ما يلزم المكلف هو النظر المفضي به إلى معرفة الله تبارك وتعالى، والذي يدل على ذلك أنه قد ثبت وجوب معرفة الله تعالى على جميع المكلفين، وثبت أن معرفة الله لا تحصل مع التكليف إلا بالنظر.

فإن قيل: و لم قلتم إن معرفة الله تعالى واجبة على جميع المكلفين؟

قيل له: لأنه قد ثبت أن معرفة الله لطف في فعل الواجبات وترك المقبحات، لأن الإنسان إذا عرف أن له صانعا مدبرا صنعه ودبره، كان أقرب إلى اجتناب القبائح اللوازم، وما كان لطفا في الواجبات وترك المقبحات كان واجبا.

فإن قيل: و لم قلتم إن معرفة الله تعالى لا تحصل ضرورة إلا بالنظر؟

قيل له: لأنه قد ثبت أن معرفة الله تعالى لا تحصل ضرورة، وثبت فساد التقليد فلم يبق إلا أن يكون النظر هو الذي يتوصل به إليها، ونجد أنفسنا في المعرفة بالله على خلاف ما نجدها في المعرفة بالمشاهدات.

فإن قيل: و لم قلتم إن التقليد فاسد؟

قيل له: لأن التقليد لو جاز لم يكن تقليد بعض المقلدين بأولى من تقليد غيره، وهذا يؤدي إلى أن يجوز تقليد من يقول بقدم العالم، كما يجوز تقليد من يقول بحدوثه، وتقليد كل من قال شيئا، كفرا كان ما قال أو إيمانا، وهذا معلوم الفساد، فثبت بذلك صحة ما قلناه.

وقد أمر الله تعالى بالنظر في محكم كتابه، فقال : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس:١٠١]. وقد عنَّف على ترك النظر فقال عز من قائل: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى

ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝ ﴾ [الغاشية:١٧-٢٠]. وقال: ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [سبأ:٩]. وإحصاؤها وغير ذلك من الآيات التي يكثر عدها، ولا يمكن إحصاؤها.

فإن قيل: ما أنكرتم أنه تعالى أراد بالآيات التي تلوتموها نظر البصر؟

قيل له: هذا الذي ذكرت لا يصح، لأنا نعلم أن القوم الذين دُعوا إلى النظر وعوتبوا على تركه، كانوا ينظرون بالأبصار إلى هذه الأشياء، فبان أن الدعاء إنما كان إلى النظر الذي هو الفكر.

باب [التوحيد]

فإن قال قائل: فما النظر المفضي به إلى معرفة الله تعالى؟

قيل له: هو النظر فيما ذكره الله تعالى، حيث يقول: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:١٦٤]. وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٠]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون:١٢-١٤]. وغير ذلك من الآيات التي معناها معنى هذه الآيات.

وبيان ذلك أنا قد علمنا أن هذه الأجسام التي ذكرها الله تعالى في كتابه، لا بد أن تكون على أحوال لا يصح كونها عليها إلا بالفاعل المدبر، لعلمنا أن الكتابة لا تكون إلا من كاتب، ولا البناء إلا من بان، والتصوير لا يكون إلا من مصوِّر، وقد ثبت أن الفاعل يجب أن يكون متقدما لفعله، فثبت أن الصانع يجب أن يكون متقدما لجميع هذه الأجسام، إذ قد ثبت أن هذه الأجسام لا تنفك من أحوال لا يجوز أن تكون عليها إلا بالصانع، وإذا ثبت تقدم الصانع لهذه الأجسام، ثبت [١] حدوثها، لأن من تأخر وجوده عن وجود غيره، فلا شك في حدوثه، وإذا ثبت حدوث الأجسام، وجب أن يكون الذي دبرها وأوجدها على تلك الأحوال، هو الذي أحدث عينها وفعلها، إذ الفعل لا بد له من فاعل على ما بينا.

---

(١) في المخطوطة: وثبت. والصواب ما أثبت.

[شواهد الحدوث]

فإن قيل: وما هذه الأحول التي ادعيتم أن الأجسام لا يجوز انفكاكها منها؟

قيل له: هي الأحوال التي أثبتناها في صدر هذه الفصل، وهي كونها متحركة وساكنة، ومجتمعة ومتفرقة، وكون التراب ترابا، ثم كونه نطفة، ثم كونه مخلقة، ثم كونه مضغة، ثم كونه عظاما، ثم كسونا العظام لحما، ثم كون الإنسان طفلا، ثم كونه ناشئا، ثم كهلا، ثم مردودا [1] إلى أرذل العمر، فهذه الأحوال هي التي يُعلم أن الأجسام لا تنفك من بعضها أو مثلها، وقد علمنا أنه لا يجوز أن تحصل عليها إلا بالفاعل المدبر، فوجب بهذه الجملة إثبات الصانع، فإذا عرف المكلف بما ذكرنا وقلنا من إثبات الصانع، وجب عليه أن يعلم أنه قادر، عالم، حي، سميع، بصير، قديم.

[القادر]

فإن قيل: فما الدليل على أنه تعالى قادر؟

قيل له: الذي يدل على ذلك، أنا وجدنا في الشاهد من لا يتعذر عليه الفعل مفارقا لمن يتعذر عليه، فلا بد من اختصاصه بصفة لكونه عليها فارق من يتعذر منه الفعل، فإذا ثبت ذلك وثبت أن صانع العالم لا يتعذر منه الفعل ـــ إذ قد بيَّنا أنه هو الفاعل لهذا العالم ـــ ثبت اختصاصه بتلك الصفة، والقادر هو المختص بتلك الصفة، فثبت أنه تعالى قادر.

[العالِم]

فإن قيل: فما الدليل على أنه عالم؟

قيل له: الدليل أنا وجدنا في الشاهد قادرا يتعذر منه الفعل المحكم المنسق المنتظم، وقادرا [2] لا يتعذر منه ذلك، فوجب أن يكون الذي لا يتعذر منه ذلك مختصا

---

(١) في المخطوطة: مردود. والصواب ما أثبت.

(٢) في المخطوطة: وقادر. والصواب ما أثبت.

بصفة، لكونه عليها فارق من يتعذر عليه ذلك من القادرين، والعالم هو المختص بتلك الصفة، فإذا ثبت بذلك وثبت أن القديم تعالى قد صح منه الفعل المحكم المنسق المنتظم، صح اختصاصه بالصفة التي من اختص بها كان عالما، فوجب كونه تعالى عالما.

فإن قيل: و لم قلتم إن القديم تعالى قد صح منه الفعل المحكم المنسق المنتظم؟

قيل له: لما قد بيناه فيما مضى من جعله التراب نطفة، والنطفة علقة، والعلقة مضغة، والمضغة عظاما، ثم إنشاؤه إياها، يعني خلقا آخر، ولما علمنا من حسن خلقه وتركيبه للنجوم والأفلاك، وتسخيره الرياح والسحاب، وتقديره الشتاء والصيف وغير ذلك مما يتعذر عده، ولا يمكن حده.

[الحي]

فإن قيل: وما الدليل على أنه حي؟

قيل له: الدليل على ذلك أنا وجدنا في الشاهد موجودا، يتعذر كونه عالما قادرا، ويستحيل ذلك فيه، وموجودا لا يتعذر ذلك منه ولا يستحيل، فوجب أن يكون الموجود الذي يصح ذلك فيه ولا يستحيل، مختصا بصفة يفارق بها الموجود الذي يستحيل ذلك فيه، ولا يصح في الحي والمختص بتلك الصفة، فإذا صح ذلك ثبت ذلك، وثبت أن القديم تعالى قد صح كونه عالما قادرا، و لم يستحل ذلك فيه، صح اختصاصه بتلك الصفة، وإذا صح ذلك ثبت كونه حيا.

[السميع البصير]

فإن قيل: وما الدليل على أنه سميع بصير؟

قيل له: الدليل على ذلك أنا وجدنا في الشاهد من كان حيا، وارتفعت عنه الآفات، وجب كونه سميعا بصيرا مدركا للمدركات، و لم يكن الموجود لكونه كذلك أكثر من أنه حي لا آفة به، فإذا ثبت ذلك وثبت أن القديم لا آفة به، ثبت أنه سميع بصير مدرك للمدركات.

[القديم]

فإن قيل: فما الدليل على أنه قديم؟

قيل له: الدليل على ذلك أنه لا يخلو من أن يكون معدوما أو موجودا، أو محدثا أو قديما، وقد ثبت أنه لا يجوز أن يكون معدوما، لأن المعدوم يستحيل أن يكون عالما قادرا حيا، وقد دللنا على وجوب كونه عالما قادرا حيا، ولا يجوز أن يكون محدثا، لأنه لو كان محدثا لوجب أن يكون له صانع، وكان القول في صانعه كالقول فيه، وهذا يؤدي إلى إثبات صانعين محدثين لا نهاية لهم، وذلك محال، فثبت أنه تعالى قديم.

[نفي المعاني في حق الله تعالى]

فإن قيل: فهل تقولون أن الله عالم يعلم؟ وقادر يقدر؟ وحي بحياة؟ وسميع بسمع؟ وبصير ببصر؟ وقديم بقدم؟ أم تقولون إنه عالم لنفسه وقادر لنفسه؟!

قيل له: لا نقول إنه عالم بعلم، وكذلك القول في سائر الصفات لمعاني هي: العلم، والقدرة، والحياة، والسمع، والبصر، والقدم، لم تخل هذه المعاني من أن تكون قديمة؟ أو محدثة؟ أو معدومة؟ ولا يجوز أن تكون معدومة، لأن المعدوم لا نوجب أن يكون له حكم.

ولا يجوز أن تكون محدثة، لأنها لو كانت محدثة لوجب أن يكون القديم تعالى قبل حدوثها غير عالم، ولا قادر، ولا حي، ولا سميع، ولا بصير، ولا موجود. وإن [1] لم يكن قادرا ولا عالما ولا حيا ولا سميعا ولا بصيرا ولا موجودا، لم يصح منه إحداث هذه المعاني.

ولا يجوز أن تكون قديمة، لأنها لو كانت قديمة لوجب أن تكون أمثال القديم تعالى وأشباهه، لأن كون القديم قديما من أخص أوصافه، وما يشارك الشيء في أخص

---

(١) لعلها: وإذا.

أوصافه، وجب أن يكون مثله شبَهَه، فبطل بهذا أن يكون القديم تعالى موصوفا بهذه الصفات لمعاني، وثبت أنه قادر لنفسه، وعالم لنفسه، وبصير لنفسه، وقديم لنفسه. وإذا ثبت أنه عالم لنفسه، وجب أن يكون عالما بجميع المعلومات، إذ حكمه تعالى مع جميعها حكم واحد، وقد دل الله تعالى على ذلك بقوله: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف:٧٦]. فأخبر أن كل عالم بعلم فوقه عالم، فوجب أن يكون القديم تعالى عالما لا بعلم، وقوله تعالى: ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾ [النساء:١٦٣]. لا يوجب إثبات العلم به، لأن معناه أنزله عالما به.

[تنزيه الله عن شبه الخلق]

فإن قيل: فهل يجوز عندكم أن يكون القديم يشبه شيئا من الأشياء؟

قيل له: لا يجوز ذلك، لأنه لو أشبه شيئا، لكان محدثا، لأن الذي يشبه المحدث يجب حدوثه، وقد دللنا على أنه تعالى قديم، وكل ما ذكرناه قد ورد به الكتاب، ونطق به القرآن، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب:٢٥]. وقال: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٠، الفتح:٢٦]. وقال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٣]. وقال: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء:١٣٤]. وقال: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف:٧٦]. وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]. وقال: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم:٦٥]. أي: مثلا ونظيرا. وقال: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص:٤].

[تنزيه الله عن الحلول في الأماكن]

فإن قيل: فهل يجوز على القديم تعالى الكون في شيء من الأماكن؟

قيل له: معاذ الله! بل ذلك محال لأن الكون في المكان يكون على أحد وجهين:

أحدهما: ككون الأجسام في الأماكن، وذلك لا يكون إلا بالمجاورة، وذلك دليل الحدوث.

والثاني: كحلول [1] الأعراض في المحآل، وذلك أيضا دليل الحدوث، لأن الحلول لا يكون إلا بالحدوث.

ألا ترى أن ما استحال فيه الحدوث، استحال فيه الحلول! فإذا كان الكون في الأماكن لا يكون إلا على هذين الوجهين، وكان كل واحد منهما يدل على حدوث الكائن، وجب القضاء بأن القديم تعالى لا يجوز أن يكون في شيء من الأماكن وإذا ثبت هذا ثبت أنه يستحيل عليه تبارك وتعالى النزول، والصعود، والإنتقال، والإستقرار.

فإن سأل سائل: عن معنى قول المسلمين إن الله تعالى بكل مكان؟

قيل له: معناه أن الله تعالى حافظ لكل مكان، ومدبر له.

فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾ [طه:٥] ؟

قيل له: معنى [2] الإستواء: هو الإستيلاء [3] والغلبة [4]. وذلك مشهور في اللغة، والعرش قد يراد به الملك، وذلك مما لا يختلف فيه أهل اللغة.

---

(١) في المخطوطة: كحول. والصواب ما أثبت.

(٢) في المخطوطة: معناه. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) في المخطوطة: الإستال. مصحفة.

(٤) الإستواء في اللغة على وجوه منها:

الإعتدال.

قال بعض بني تميم:

فاستوى ظالم العشيرة والمظلوم

أي: اعتدلا.

التمام.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾ [القصص:١٤].

أي: تم.

القصد إلى الشيء.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٩].

الإستيلاء على الشيء.

قال الأخطل:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

وقال آخر:

إذا ما علونا واستوينا عليهم   جعلناهمُ مرعى لنسر وطائر

ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

وهو قول عامة الموحدين من أهل البيت الزيدية، والجعفرية، والمعتزلة،والأباضية، والأشاعرة، خلا الطائفة المجسمة.

قال الراغب الأصفهاني في المفردات في مادة سوا: الإستواء متى عُدِّي بعلى اقتضى معنى الإستيلاء. كقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، وقيل: معناه استوى له ما في السماوات وما في الأرض، أي: استقام الكل على مراده بتسوية الله تعالى إياه، كقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾، وقيل: معناه استوى كل شيء في النسبة إليه، فلا شيء أقرب إليه من معه شيء، إذ كان تعالى ليس كالأجسام الحالة في مكان دون مكان، وإذا عدي بإلى اقتضى معنى الإنتهاء إليه، إما بالذات، أو بالتدبير، وعلى الثاني قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت:١١]. المفردات/ ٤٣٩ — ٤٤٠.

وقال الإمام زيد بن علي: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾. معناه: علا وقهر، والعرش: العزة والسلطان. تفسير غريب القرآن/ ٢٠٣.

وقال ابن جرير الطبري في تفسيره (١ / ١٩٢) عند تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: والعجب ممن أنكر المفهوم من كلام العرب في تأويل قوله الله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ الذي هو بمعنى: العلو والإرتفاع. هربا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه إلى أن تأويله بالمجهول من تأويله المستنكر، ثم لم ينج مما هرب منه، فيقال له: زعمت أن تأويل قوله: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: أقبل، أفكان مدبرا عن

السماء فأقبل إليها؟! فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال فعل ولكنه إقبال تدبير. قيل له: فكذلك فقل: علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال.

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ولا يلزم من كون جهتي العلو والسفل محال على الله أن لا يوصف بالعلو، لأن وصفه بالعلو من جهة المعنى، والمستحيل كونه ذلك من جهة الحس. الفتح ٦ / ١٣٦.

وقال أبو الحسن الأشعري: وأن الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده، استواء منزها عن المماسة والإستقرار والتمكن والحلول والإنتقال، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قربا إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات عن العرش، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد. الإبانة ص (٢١)، تحقيق الدكتورة فوقية حسين محمود طبع دار الأنصار القاهرة.

وللعلم فإن هذه القطعة من الإبانة محذوفة من أكثر نسخ الإبانة التي طبعتها مجسمة العصر، والموجودة في الأسواق وبأيدي الناس.

وقال أبو المعالي عبد الملك الجويني الشافعي الأشعري في كتابه الإرشاد: (وذهبت الكرامية — وهي فرقة غالية في التجسيم تنتسب إلى محمد بن كرام المتوفي سنة ٢٢٥ هـ — وبعض الحشوية إلى أن الباري — تعالى عن قولهم — متحيز مختص بجهة فوق، تعالى الله عن قولهم، ومن الدليل على فساد ما انتحلوه... إلى أن قال: فإن استدلوا بظاهر قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾، فالوجه معارضهم بآيساعدوننا على تأويلها، منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]. وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد:٢٩]. فنسألهم عن معنى ذلك؟ فإن حملوه على كونه — معنا — بالإحاطة والعلم، لم يمتنع منا حمل الإستواء على القهر والغلبة، وذلك شائع في اللغة، إذ العرب تقول: استوى فلان على الممالك إذا احتوى على مقاليد الملك، واستعلى على الرقاب. وفائدة تخصيص العرش بالذكر أنه أعظم المخلوقات في ظن البرية، فنص تعالى عليه تنبيها بذكره على ما دونه.

فإن قيل: الإستواء بمعنى الغلبة ينبئ عن سابق مكافحة ومحاولة؟!

قلنا: هذا باطل، إذ لو أنبأ الإستواء عن ذلك لأنبأ عنه القهر!!!

ثم الإســتواء بمعنى الإستقرار بالذات ينبئ عن اضطراب واعوجاج سابق، والتزام ذلك كفر. ولا يبعد حمل الإستواء على قصد الإله إلى أمر في العرش، وهذا تأويل سفيان الثوري رحمه الله، واستشهد عليه بقولــه تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ [فصلت:١١]، معناه: قصد إليها. الإرشاد/ ٩٥ ــ ٦٠.

وروى مســلم في صحيحه (٤ / ٦١) وغيره: اللهم أنت الظاهر فليس فوقك شيء،و أنت الباطن فليس دونك ــ يعني تحتك ــ شيء.

قال البيهقي في الأسماء والصفات/ ٤٠٠: واستدل بعض أصحابنا بهذا الحديث على نفي المكان عن الله تعالى، فإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان.

وقال ابن حجر في الفتح (١ / ٥٠٨) عند شرح حديث: (إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربــه، أو إن ربه بينه وبين القبلة، فلا يبزق أحدكم قِبَلَ قبلته...). الحديث. قال ابن حجر: وفيه الرد على من زعم أنه على العرش بذاته.

وقال الطحاوي في متن الطحاوية / ١٥: تعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات.

والمجسمة تورد شبهة مفادها: إذا قلتم إن معنى ﴿ ٱسْتَوَىٰ ﴾: قهر واستولى يقتضي المغالبة، ومعنى هذا أن الله تعالى لم يكن قاهرا ولا مستوليا ولا غالبا ثم صار كذلك.

فنقول: ليس الأمر على ما توهمت المجسمة، فإن الله يقول مخبرا عن يوم القيامة: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾ [غافر:١٦]. فهل يعني هذا أن الملك قبل ذلك اليوم كان لغير الله تعالى؟!!

وبعد هذا كله فالله سبحانه يقول: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ [المجادلة:٧]، ﴿ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ [محمد:٣٥]، ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق:١٦]، ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ [الواقعة:٨٥]. ويقــول النبي صلى الله عليه وآله: « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ».

أخرجه مسلم برقم (٧٤٤)، والنسائي (١١٢٥)، وأبو داود (٧٤١)، وأحمد (٩٠٨٣).

ولعل المجسمة تتوهم من قوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ﴾ [الملك:١٦]، وقوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر:١٠]، وقوله تعالى: ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران:٥٥]، وقوله: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج:٤]. أن الله سبحانه وتعالى موجود في السماء!! وذلك من قلة معرفتهم باللسان العربي.

وإنما معنى قوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾: مَن شأنه عظيم في السماء. لأن العرب إذا أرادت أن تعظم شيئا وصفته بالعلو، فتقول: فلان اليوم في السماء. وتقول: في المقارنة: كما قال عمرو بن العاص:

وأين الثريا وأين الثرى وأين معاوية من علي

والثريا نجم عال في السماء. أو يكون المراد به جبريل عليه السلام أو أي ملك يرسله الله ليخسف بهم، لأن السماء مسكن الملائكة.

قال القرطبي في تفسيره عند تفسير الآية: وقيل: تقديره: أأمنتم من في السماء قدرته وسلطانه وعرشه ومملكته، وخص السماء وإن عم ملكه تنبيها على أن الإله الذي تنفذ قدرته في السماء، لا من يعظمونه في الأرض.

وقيل: هو إشارة إلى الملائكة.

وقيل: إلى جبريل وهو الملك الموكل بالعذاب. ويحتمل أن يكون المعنى: أأمنتم خالق من في السماء أن يخسف بكم الأرض كما خسفها بقارون.

ومعنى ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر:١٠]: يقبله. قال أبو حيان: وصعود الكلام إليه تعالى مجاز في الفاعل وفي المسمى إليه، لأنه تعالى ليس في جهة، ولأن الكلم ألفاظ لا توصف بالصعود، لأن الصعود يكون من الأجرام، وإنما ذلك كناية عن القبول. البحر المحيط ٨ / ٣٠٣.

وكما قال تعالى في مهاجرة إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ﴾ [العنكبوت:٢٦] أي: متوجه إليه. أو إلى الموضع الذي أمرني به.

وقال القرطبي في تفسيره عند تفسير الآية: والصعود هو الحركة إلى فوق، وهو العروج أيضا. ولا يتصور ذلك في الكلام لأنه عرض، لكن ضرب صعوده مثلا لقبوله، لأن موضع الثواب فوق.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ١٣ / ٤١٦: قال البيهقي: صعود الكلام الطيب والصدقة الطيبة عبارة عن القبول، وعروج الملائكة هو إلى منازلهم في السماء ...

ومعنى قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:٥٥] رافعك إلى السماء الثانية، كما جاء في البخاري برقم (٣٣٦)، ومسلم (٢٣٨) في حديث الإسراء أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجد عيسى عليه السلام في السماء الثانية.

وقال القرطبي في تفسير الآية: وقال الحسن، وابن جريج: معنى متوفيك قابضك، ورافعك إلى السماء من غير موت، مثل توفيت مالي من فلان أي: قبضته.

ومعنى قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾. قال القرطبي: في تفسيره عند تفسير الآية: تعرج إليه: إلى المكان الذي هو محلهم في السماء، لأنها محل بره وكرامته. وقيل: هو كقول إبراهيم ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ [الصافات:٩٩]. أي: إلى الموضع الذي أمرني.

والعرش: هو الملك.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٧]. أي: أمره، من الحساب، وإدخال المؤمنين الجنة، والمجرمين النار.

قال الإمام الهادي عليه السلام: ثمانية أصناف من الملائكة، أو ثمانية ملائكة، أو ثمانية آلاف.

والكرسي: هو العلم.

قال في لسان العرب في مادة كرس: كَرُس الرجل إذا ازدحم علمه على قلبه، والكراسة من الكتب، سميت بذلك لتكرسها.

وقال: وفي التنزيل ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٥٥]. في بعض التفاسير: الكرسي العلم. وفيه عدة أقوال.

قال ابن عباس: كرسيه علمه...

وقال قوم: كرسيه قدرته التي بها يمسك السماوات والأرض.

قالوا: وهذا كقولك: اجعل لهذا الحائط كرسيا. أي: اجعل له ما يعمده ويمسكه.

قال: وهذا قريب من قول ابن عباس.

أقول: والكرسي: هو العالم. والكراسي: العلماء.

قال أبو ذؤيب الهذلي:

ولا تكرّس علم الغيب مخلوق

أي: ما تعلم.

وقال آخر:

تحف بهم بيض الوجوه وعصبة كراسي بالأحداث حين تنوب.

أي: علماء.

قـــال في ضياء الحلوم المختصر من شمس العلوم لمحمد بن نشوان الحميري: (ومنه قيل للعلماء كراسي. واستشهد بالبيت.

وقيل: الكرسي الملك.

قال أسعد تبع يذكر بلقيس:

ولقد بنت لي عمتي في مأرب عرشا على كرسي ملك متلد

ذكره في منتخبات في أخبار اليمن من شمس العلوم لنشوان الحميري/ ٩٢.

وذكره أيضا في كتابه ملوك حمير وأقيال اليمن/ ٨٦.

وقـــد ذكرت المجسمة أحاديث مفتراة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تمجها الأسماع وتنفر عنها الطباع، منها ما أخرجه الحاكم (٢/ ٢٨٢)، وقال على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ٣٢٣ ٩، وقال رجاله رجال الصحيح.

قـــالوا: روى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: التنزيل ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾. قال: كرسيه موضع قدميه، والعرش لا يقدر قدره)!!!!

تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا !!!!

أقول: وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير ، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس: التنزيل ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾. قال: كرسيه علمه. ألا ترى إلى قوله: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾ [البقرة:٢٥٥]. الدر المنثور ٢/ ١٦.

فإن قيل: فما تقولون في معنى قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف:٨٤] ؟

قيل له: معناه: أنه هو الذي يستحق العبادة، يستحق أن يعبد في السماء والأرض، لأن الإله هو الذي يستحق العبادة، وهذا مشهور متعارف في ألفاظ الناس.

ألا ترى أنهم يقولون: فلان أمير في بلد كذا، وبلد كذا. وفلان قاض في بلد كذا، وبلد كذا؟ ولا يريد أنه كائن في البلدان لأن ذلك يستحيل، وإنما يراد أن الأمر له والقضاء في هذه له، فقد صح ما ذكرناه من التأويل.

وقال الإمام الهادي عليه السلام في كتابه تفسير العرش والكرسي: فمما نحتج به عليكم ما ذكره الله سبحانه في هذه الآية من قوله: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]. فأخبر الله سبحانه أن كرسيه قد وسع السماوات والأرض، يريد عز وجل: أن هذا الكرسي اشتمل على السماوات السبع فأحاط بأقطارها، وكذلك اشتمل على الأرضين السفلى فأحاط بأقطارها أيضا، فصار الكرسي مشتملا على السماوات السبع عاليا فوقها واسعا لها ... إلى قوله: وسأذكر لك في إحاطة الكرسي بالأشياء خبرا مذكورا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وذكر عن أبي ذر الغفاري رحمة الله عليه أنه قال: « يا رسول الله أي آية أنزلها الله تبارك وتعالى عليك أعظم؟

قال: آية الكرسي. ثم قال: يا أبا ذر ما السموات والأرض عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة...إلى قوله: واعلم رحمك الله، أن هذا الكرسي مثلٌ ضربه الله لعباده ليستدل به العباد على عظمة الله تبارك وتعالى، وإحاطته بالأشياء واتساعه لها ... » إلخ كلامه.

والحديث أخرجه ابن جرير، وأبو الشيخ في العظمه، وابن مردويه، والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي ذر. الدر المنثور ٢/ ١٧ .

و لم أنقل أقوال أئمة وعلماء الزيدية، والمعتزلة، والجعفرية، والأباضية. لأن مذاهبهم في هذا معروفة ومتفقة، وإنما اعتمدت على أقوال الأشاعرة والمحدثين للإحتجاج بها على المجسمة الذين يدَّعون متابعتهم.

والموضوع متشعب وبحاجة إلى دراسة وافية مفردة، وأنا أعمل في ذلك أرجو من الله التسديد والعون.

[الرؤية]

فإن قيل: فهل تقولون إن الله تعالى يُرى بالأبصار؟

قيل له: لا نقول ذلك، بل نحيله، والدلالة على ذلك، قول الله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [الأنعام:١٠٣]. والإدراك بالأبصار هو الرؤية بالبصر عند أهل اللغة، فكأنه قال تبارك وتعالى: لا تراه [١]، فثبت لذلك صحة ما ذهبنا إليه، من نفي الرؤية عن الله عز وجل [٢].

فإن قيل: ما أنكرتم أن يكون تعالى يُرى في الآخرة، لأنه ليس فيها نفي الرؤية في الآخرة؟

قيل له: لا يجوز ذلك، لأنه تعالى مدح نفسه بنفي الرؤية عنها، فيجب أن يكون إثباتها نقصا، والنقص لا يجوز على الله تعالى في الآخرة، ولا في الدنيا.

---

(١) في المخطوطة: أي لا يراه. ولعله تصحيف.

(٢) عن أنس رضي الله عنه:

« أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مَرَّ بأعرابي وهو يدعو في صلاته وهو يقول:

يا مَنْ لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، ولا تغيّره الحوادث ولا يخشى الدوائر، يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، وما تواري منه سماءٌ سماءً ولا أرضٌ أرضاً، ولا بحر ما في قعره، ولا جبل ما في وعره، اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتيمه، وخير أيامي يوم ألقاك فيه.

فوكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالأعرابي رجلاً، فقال: إذا صلى فائتني به، فلمّا صلّى أتاه، وقد كان أُهْدِيَ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذَهَبٌ من بعض المعادن، فلمّا أتاه الأعرابي وهب له الذهب، وقال: ممّن أنْتَ يا أعرابي؟ قال: من بني عامر بن صعصعة يا رسول الله، قال: هل تدري لِمَ وهبت لك الذهب؟ قال: للرحم بيننا وبينك يا رسول الله، قال: إن للرحم حقا، ولكن وهبت لك الذهب بحُسنِ ثنائك على الله عزّ وجل ».

قال الحافظ الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٠/١٥٨): رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن محمد أبو عبد الرحمن الأذرمي وهو ثقة.

فإن قيل: فما الفصل بينكم وبين من قال: إن الله تعالى يجوز أن يرى، واحتج بقوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]. كما استدللتم على نفي الرؤية، بقوله [١] تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ [الأنعام:١٠٣] ؟

قيل له: إن النظر بالعين ليست حقيقة الرؤية، بل حقيقة الرؤية تقليب الحدقة في جهة المرئي طلبا لرؤيته، وإذا كان هذا هكذا، فظاهر الآية لا تدل على إثبات الرؤية، وتأويلها ما روي عن المفسرين، وهو: أنه إنما أراد به انتظار الثواب [٢]، عند أهل اللغة يجوز أن تقول: ناظرة إلى الله، بمعنى ناظرة إلى ثوابه، على ضرب من التوسع، وأراد انتظاره الثواب، والنظر إليه، لأن النظر بمعنى الإنتظار مشهور عند أهل اللغة. ويجوز أن يقال ناظر إلى الله، بمعنى ناظر إلى ثوابه، على ضرب من

---

(١) في المخطوطة: لقوله. والصواب ما أثبت.

(٢) أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير، عن أبي صالح رضي الله عنه في قوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ ﴾ [القيامة:٢٢]، قال: حسنة : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ ﴾ [القيامة:٢٣]، قال: تنتظر الثواب من ربها.

وأخرج ابن جرير عن مجاهد رضي الله عنه في قوله :﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ ﴾ قال: تنتظر منه الثواب. الدرر ٨/٣٦٠. وهو في تفسير الإمام زيد في سورة القيامة.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١٣/ ٣٥٨: وقد أخرج عبد بن حميد عن عكرمة من وجه آخر إنكار الرؤية ... ثم قال: وأخرج بسند صحيح عن مجاهد: ﴿ نَاظِرَةٌ ﴾. تنظر الثواب. وعن أبي صالح نحوه، وأورد الطبري الإختلاف.

وأخرجه الربيع بن حبيب في مسنده الصحيح ص (٢٢٦)، (٢٢٨)، عن علي عليه السلام من طريق أبي معمر السعدي، وعن ابن عباس من طريق الضحاك بن قيس، وسعيد بن جبير، وعزاه إلى مجاهد، ومكحول، وإبراهيم، والزهري وسعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب.

وهو في تفسير الميزان للطباطبائي عن الإمام عي بن موسى الرضى قال: يعني مشرقة تنتظر ثواب ربها. قال: ورواه في التوحيد، والإحتجاج، والمجمع عن علي عليه السلام ٢/ ١١٦.

وهو قول القاسم الرسي في كتاب العدل والتوحيد.

التوسع، كما قال الله تعالى حاكياً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الصافات:٩٩]. أي: إلى حيث أمر ربي، فأما الأخبار المروية في إثبات الرؤية، فإن أكثرها ضعاف [١]، وقد بيَّن ذلك العلماء في الكتب المؤلفة في

---

(١) الأحاديث الواردة في الرؤية رغم أنها أكثر من عشرين حديثا إلا أن أكثرها ضعيفة إن لم تكن كلها، بَيدَ أن البعض منها إن صح يمكن تأويله بما لا يتناقض مع قدسية الذات الإلهية، وتعاليها عن صفات المخلوقين.

فمن جهة السند لا يخلو حديث منها عن مطعن من قِبَل رجال الجرح والتعديل المعتمدين في هذا الفن، وقد جمع السيد محمد بن إبراهيم الوزير في كتابه العواصم والقواصم الجزء الخامس أكثر الأحاديث في هذه المسألة بأسانيدها، وعند الرجوع إلى كتب الجرح والتعديل سيتضح للقارئ صحة قول الإمام: أكثرها ضعاف. والإمام محدث كبير ولو لا ضيق المقام لنقلت للقارئ مقالات ومطاعن علماء الجرح والتعديل في رجال أسانيد هذه الأحاديث.

هذا من جهة السند.

أما من جهة المتن فالأمر جلل.

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة: أن ناساً قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هل تضآرون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: هل تضآرون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله.

قال: فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها!!! فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه...

البخاري فتح الباري ١٣/ ٣٦١، ومسلم بشرح النووي ٣/ ١٧.

وفي رواية أخرى للبخاري الفتح ١٣/ ٣٦٢، ومسلم بشرح النووي ٣/ ٢٥. قريبة من الأولى إلا أنه قال في هذه: حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه

وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها. قال: ما تنتظرون؟! تتبع كل أمة ما كانت تبعد. قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم و لم نصاحبهم. فيقول أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشـرك بالله شيئا ــ مرتين أو ثلاثا ــ حتى إن بعضهم ليكاد ينقلب!!!!! فيقول: هل بينكم وبينه آيـة فتعرفون بها؟ قالوا: نعم. فيكشف عن ساقه، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسـجد خـر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة. فقال: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا...

لـن أعلق على هاتين الروايتين، فالقارئ الحصيف في غنى عن أي تعليق أو توضيح لبيان بطلانهما، بيد أني سأكتفي بإثارة بعض علامات الإستفهام.

فأقول:

ــ هـل الرؤية في موقف الحشر والقضاء؟ كما هو واضح من الروايتين!! أم في الجنة كما في روايات أخر؟

ــ هـل الـرؤية نعيم وجزاء على الأعمال الصالحات، وعلى هذا فهل هي خاصة بالمؤمنين؟ أم عامة للمنافقين والفجار كما تصف الروايتان !!!؟

ــ هـل لله تعالى صورة أو صور يتشكل ويتغير فيها بحسب المقامات؟! وهل يجوز ذلك على الذات المقدسة؟!

ــ هـل سبق للأمة بما فيها منافقوها وفجارها أن تعرّفوا على الله وعلى صورته وساقه في لقاء سابق؟ وإذا صـح ذلـك!!! فهل يصح ويجوز من الله تعالى أن يتنكر ويوقع الأمة في حيرة منه، حتى ليكاد بعضهم أن يرتد ويكفر بالله؟!

ــ هل دار الآخرة دار ابتلاء وتكليف حتى يختبرهم ويمتحنهم فيها؟!

ــ ثم مـا هذه الآية والعلامة ــ ساق ــ التي اتفق معهم عليها؟! ما علاقة الله تعالى بالساق، وما في هذا الساق من العلامات والآيات الإلهية؟

إن هذه الأسئلة وغيرها الكثير لتنتظر الجواب الشافي من ذوي الإختصاص، ومن يهمهم الأمر.

هذا الباب، فإن صح منها شيء فالمراد بالرؤية هو العلم، وذلك غير مستنكر في اللغة [١].

---

(١) كما قال الإمام عليه السلام إن صح منها شيء فالمراد بالرؤية هو العلم.

قال أبو بكر الجصاص الحنفي: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام:١٠٣]. معناه: لا تراه الأبصار، وهذا تمدح بنفي رؤية الأبصار، كقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥]. وما تمدح الله بنفيه عن نفسه، إثبات ضده ذم ونقص، فغير جائز إثبات نقيضه بحال، كما لو بطل استحقاق الصفة بـ ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾. لم يبطل إلا إلى صفة نقص، ولا يجوز أن يكون مخصوصا بقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]. لأن النظر محتمل لمعان منه: انتظار الثواب كما روي عن جماعة من السلف، فلما كان ذلك محتملاً للتأويل لم يجز الإعتراض عليه بما لا مساغ للتأويل فيه، والأخبار المروية في الرؤية إنما المراد بها العلم لو صحت، وهو علم الضرورة الذي لا تشوبه شبهة، ولا تعرض فيه الشكوك، لأن الرؤية بمعنى العلم مشهورة في اللغة. أحكام القرآن ٣/ ٤ - ٥.

وقال ابن حجر في الفتح ١٣/ ٣٥٩: واختلف من أثبت الرؤية في معناها، فقال قوم: يحصل للرائي العلم بالله تعالى برؤية العين كما في غيره من المرئيات، وهو على وفق قوله في حديث الباب (كما ترون القمر)، إلا أنه منزه عن الجهة والكيفية، وذلك أمر زائد على العلم. وقال بعضهم: إن المراد بالرؤية: العلم. وعبر عنها بعضهم: بأنها حصول حالة في الإنسان نسبتها إلى ذاته المخصوصة نسبة الأبصار إلى المرئيات. وقال بعضهم: رؤية المؤمن لله نوع كشف وعلم، إلا أنه أتم وأوضح من العلم، وهذا أقرب إلى الصواب من الأول.

وقال العلامة بدر الدين الحوثي: فأما الروايات فكثير منها ما يمكن تفسيره بمعنى قريب، وهي أن الرؤية فيها مقيدة بكونها كما يرون القمر، والقمر لا يُرى إلا شعاعه لا جرمه لأن الجرم بعيدا جدا، ولا يرى من بعيد إلا النور، فالمعنى أنها تتجلى للمؤمنين عظمته وجلاله وحكمته وكرمه ورحمته وجبروته وعزته، بما يشاهدون في القيامة من قضائه سبحانه وتعالى.

ويكون العلم بذلك ضروريا بمنزلة العلم بالمشاهدات، واختص بذلك المؤمنون لأن أعداء الله في شغل عن ذلك بأنفسهم كما قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا

﴾ [الإسراء:٧٢]. وقال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء:٩٧]. ووصف الأبرار بضد ذلك فقال: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴾ [المطففين:٢٢-٢٣]. فكانت مشاهدتهم لقضائه، ورؤيتهم لعدله وعــزته ورحمته وفضله هي مشاهدة جلاله وعظمته، وكان ذلك معنى رؤيته، لأنه تجلى لهم بهذا المعنى من حيث كمال المعرفة والعلم وكونه ضروريا كالعلم بالمشاهدات. تحرير الأفكار/ ٣١٥.

وعلاوة على هذا فهذه الروايات آحادية لا يقبل شيء منها في مسائل الإعتقاد، لأنه يشترط في العقيدة العــلم واليقين، والآحاد لا تفيد إلا الظن، هذا مع سلامته من المعارضة العقلية والنقلية، فكيف به مع المعارضة لصرائح الآيات، وموجبات ودلائل لعقول.

وإليك نصوص الأئمة والمحدثين والأصوليين في أخبار الآحاد، وألها مما لا يبنى عليه في باب الإعتقاد.

قال الحافظ الخطيب البغدادي في الفقه والمتفقه ١/ ١٣٢:

باب القول فيما يرد به خبر الواحد:

... وإذا روى الثقة المأمون خبرا متصل الإسناد رُدَّ بأمور:

أحدها: أن يخالف موجبات العقول فيعلم بطلانه، لأن الشرع إنما يرد بمجوزات العقول، وإما بخلاف العقول فلا.

الثاني: أن يخالف نص الكتاب، أو السنة المتواترة، فيعلم أنه لا أصل له أو منسوخ.

والثالث: يخالف الإجماع فيستدل على أنه منسوخ أو لا أصل له....

الــرابع: أن ينفرد الواحد برواية، يجب على كافة الخلق علمه، فيدل ذلك على أنه لا أصل له، لأنه لا يجوز أن يكون له أصل، وينفرد هو بعلمه من بين الخلق العظيم... إلخ كلامه.

وقال أيضا في كتابه (الكفاية في علم الرواية) /٤٣٢

باب ذكر ما يقبل فيه خبر الواحد وما لا يقبل فيه:

خبر الواحد لا يقبل في شيء من أبواب الدين المأخوذ على المكلفين العلم بها والقطع عليها، والعلة في ذلــك أنه إذا لم يعلم أن الخبر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أبعد من العلم بمضمونه، فأما ما عدا ذلك من الأحكام التي يوجب علينا العلم بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قررها وأخبر عن الله عز وجل بها فإن خبر ا لواحد فيها مقبول والعمل واجب.

وعقد بابا في كتابه هذا سماه:

[ذكر شبهة من زعم أن خبر الواحد يوجب العلم، وإبطالها].

وقال البيهقي في الأسماء والصفات/ ٣٥٧:

ولهذا الوجه من الإحتمال ترك أهل النظر من أصحابنا الإحتجاج بأخبار الآحاد في صفات الله تعالى، إذا لم يكن لما انفرد منها أصل في الكتاب أو الإجماع، واشتغلوا بتأويله.

قال الحافظ ابن عبد البر في (التمهيد) ١/ ٧:

واختلف أصحابنا وغيرهم في خبر الواحد العدل هل يوجب العلم والعمل جميعا، أم يوجب العمل دون العلم؟ والذي عليه أكثر أهل العلم منهم أنه يوجب العمل دون العلم، وهو قول الشافعي وجمهور أهل الفقه والنظر، ولا يوجب العلم عندهم إلا ما شهد به على الله وقطع العذر بمجيئه قطعا ولا خلاف فيه.

وقال الإمام الشافعي: الأصل القرآن والسنة وقياس عليها، والإجماع أكبر من الحديث المنفرد .

رواه عنه أبو نعيم في الحلية ٩/ ١٠٥، وأبو حاتم في (آداب الشافعي) ٢٣١، ٢٣٣، والبيهقي في (مناقب الشافعي) ٢/ ٣٠.

وعليه الإمام البخاري قال في كتاب أخبار الآحاد من صحيحه بشرح الفتح ١٣/ ١٩٦: باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق، في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام.

قال الحافظ ابن حجر في شرحه عليه: وقوله: والفرائض بعد قوله: في الأذان والصلاة والصوم، من عطف العام على الخاص، وأفرد الثلاثة بالذكر للإهتمام بها، قال الكرماني: ليعلم إنما هي في العمليات لا في الإعتقاديات.

وقال النووي في شرحه على مسلم ١/ ١٣١:

وأما خبر الواحد فهو ما لم يوجد فيه شروط المتواتر، سواء كان الراوي له واحدا أو أكثر، واختلف في حكمه فالذي عليه جماهير المسلمين من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من المحدثين والفقهاء وأصحاب الأصول: أن خبر الواحد الثقة حجة من حجج الشرع يلزم العمل بها، ويفيد الظن ولا يفيد العلم ...

وقال عبد القاهر البغدادي في كتابه أصول الدين / ١٢:

وأخبار الآحاد متى صح إسنادها وكانت متولها غير مستحيلة في العقل كانت موجبة للعمل بها دون العلم.

وهو قول الحافظ ابن حجر أيضا انظر شرح نخبة الفكر ص (٢٥ - ٢٦).

وقال ابن تيمية في منهاج السنة ٢/ ١٣٣:

الثاني: أن هذا من أخبار الآحاد فكيف يثبت به أصل الدين الذي لا يصح الإيمان إلا به.

قال الإمامان ابن السبكي في جمع الجوامع والمحلي في شرحه: (خبر الواحد لا يفيد العلم إلا بقرينة) كما في إخبار الرجل بموت ولده المشرف على الموت، مع قرينة البكاء، وإحضار الكفن والنعش.

(و) قال (الأكثر لا) يفيده (مطلقا). جمع الجوامع لابن السبكي بشرح جلال الدين المحلي مع حاشية ابن قاسم العبادي ج ٣ ص ٢١٥.

وفي تنقيح ابن الحاجب وشرحه (التوضيح) ما نصه: والثالث — ويعني به الخبر الآحادي — يوجب عليه الظن إذا اجتمع الشرائط التي نذكرها إن شاء الله تعالى، وهي كافية لوجوب العمل لأنه لا يوجب العلم؛ ولا عمل إلا عن علم... إلى أن قال : والعقل يشهد أنه لا يوجب اليقين. التوضيح على التنقيح / ٤٣١- ٤٣٢ هامش حاشية التلويح للسعد التفتازاني، مطبعة مكتب صنايع من طرف الشركة الصحافية العثمانية شوال من سنة ١٣١٠هـ.

وفي حاشية السعد التفتازاني عليهما أن هذا هو قول الجمهور. انظر التلويح للسعد التفتازاني / ٤٣١.

ثم قال: بل العقل شاهد بأن خبر الواحد العدل لا يوجب اليقين، وأن احتمال الكذب قائم وإن كان مرجوحا، وإلا لزم القطع بالنقيضين عند إخبار العدلين بهما. المرجع السابق ص ٤٣٣.

وقال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي: اعلم أنا نريد بخبر الواحد في هذا المقام ما لا ينتهي من الأخبار إلى حد التواتر المفيد للعلم، فما نقله جماعة من خمسة أو ستة مثلا فهو خبر الواحد ... إلى أن قال: وإذا عرفت هذا فنقول خبر الواحد لا يفيد العلم، وهو معلوم بالضرورة فإنا لا نصدق بكل ما نسمع، ولو صدقنا وقدرنا تعارض خبرين فكيف نصدق بالضدين؟ وما حكي عن المحدثين من أن ذلك يوجب العلم فلعلهم أرادوا أنه يفيد العلم بوجوب العمل إذ يسمى الظن علما، ولهذا قال بعضهم: يورث العلم الظاهر. والعلم ليس له ظاهر وباطن وإنما هو الظن. المستصفي للإمام أبي حامد الغزالي ١ / ١٤٥طبعة بولاق.

وفي فواتـــح الرحموت بشرح مسلم الثبوت لابن عبد الشكور ما نصه: الأكثر من أهل الأصول ومنهم الأئمـــة الثلاثة على أن خبر الواحد، إن لم يكن هذا الواحد المخبر معصوما نبيا، لا يفيد العلم مطلقا، ســـواء احـــتف بالقرائن أو لا ... إلى أن قال: لو أفاد خبر الواحد العلم لأدى إلى التناقض إذا أخبر عـــدلان بمتناقضين ... ثم قال: وذلك أي إخبار العدلين بمتناقضين جائز بل واقع، كما لا يخفى على المســـتقرئ في الصـــحاح والســـنن والمســـانيد. فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت المطبوع بذيل المستصفى ٢ /١٢١.

وقـــال الإمـــام محمد عبده في إحدى فتاواه: ولو أراد مبتدع أن يدعو إلى هذه العقيدة، فعليه أن يقيم عليها الدليل الموصل إلى اليقين، إما بالمقدمات العقلية البرهانية، أو بالأدلة السمعية المتواترة، ولا يمكنه أن يـــتخذ حديـــثا من حديث الآحاد دليلا على العقيدة، مهما قوي سنده، فإن المعروف عند الأئمة قاطبة أن أحاديث الآحاد لا تفيد إلا الظن ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ [النجم:٢٨]. من فـــتوى للإمـــام محمد عبده نقلها القاسمي في تفســـير سورة الأحزاب من تفسيره محاسن التأويل ١٣/ ٤٩٢٠ طبع عيسى البابي الحلبي وشركائه.

وقـــال العلامـــة السيد محمد رشيد رضا: إن بعض أحاديث الآحاد تكون حجة عند من ثبتت عنده واطمـــأن قلبه بها، ولا تكون حجة على غيره يلزم العمل بها، ولذلك لم يكن الصحابة رضي الله عنهم يكتبون جميع ما سمعوه من الأحاديث ويدعون إليها، مع دعوتهم إلى اتباع القرآن والعمل به، وبالسنة العملـــية المتـــبعة المبينة له إلا قليلا من بيان السنة، كصحيفة علي كرم الله وجهه، المشتملة على بعض الحكـــام كالديـــة، وفكاك الأسير، وتحريم المدينة كمكة، ولم يرض الإمام مالك من الخليفتين المنصور والرشيد أن يحملا الناس على العمل بكتبه حتى الموطأ، وإنما يجب العمل بأحاديث الآحاد على من وثق بها رواية ودلالة. المنار ١/ ١٣٨ الطبعة الرابعة.

وإذا كـــان هذا موقف حجية الآحادي في الأمور الفرعية العملية فكيف بالإعتقاد؟! بل كيف تكون حجيته مع معارضته للقطعي المتواتر؟! وقد قال هذا الإمام نفسه: وإذا كان من علل الحديث المانعة من وصـــفه بالصحة مخالفة راويه لغيره من الثقات، فمخالفة القطعي من القرآن المتواتر أولى بسلب وصف الصحة عنه. المرجع السابق ٨٥ - ٨٦.

ولهـذا ردت عائشة كثيرا من الأحاديث التي كان يرويها بعض الصحابة لمخالفتها للقرآن وموجبات العقول.

ردت حديث من ادعى أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم رأى ربه، وهو أنس وغيره.

روى ابن حجر في الفتح ٨/ ٤٩٤ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: رأيت ربي. وقبله في نفس الصفحة أن ابن خزيمة روى بإسناد جيد عن أنس قال: رأى محمد ربه.

فـردت ذلك كما في البخاري فتح ٨/ ٤٩٢، ومسلم بشرح النووي ٣/ ٨ عن مسروق قال: قلت لعائشـة رضي الله عنهما: يا أُمتاه، هل رأى محمد ربه؟ فقالت: (لقد قف شعري مما قلت، أين أنت مـن ثـلاث مـن حدثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣]. ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ...﴾ [الشورى:٥١]).

فها هي أم المؤمنين ترد الخبر الآحادي المخالف لصريح القرآن وتكذب من رواه.

وروى الـبخاري (فتح ٣/ ١٥١ – ١٥٢)، ومسلم (٢/ ٦٣٨ – ٦٤٢) أن عمر وابنه عبد الله رويـا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه ». فردت ذلـك عائشـة كمـا في صحيح مسلم (٦/ ٢٣٥). فقالت: يغفر الله لأبي عبد الرحمن. أما إنه لم يكـذب، ولكنه نسي أو أخطأ، إنما مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على يهودية يُبكى عليها فقـال: « إنهـم ليبكون عليها، وإنها لتعذب في قبرها ». وفي رواية أخرى لمسلم قالت: « لا والله ما حـدث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الله يعذب المؤمن ببكاء أحد .... ثم قالت: حسبكم القرآن ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [فاطر:١٨] ».

وروت أيضا حديث أبي هريرة.

روى أبـو داود الطيالسي (ص ٢١٥) عن مكحول قيل لعائشة: إن أبا هريرة يقول: قال رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم: « الشؤم في ثلاث في الدار والمرأة والفرس ». فقالت عائشة: لم يحفظ أبو هريرة لأنه دخل ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: « قاتل الله اليهود يقولون: إن الشؤم في ثلاث في الدار والمرأة والفرس ». سمع آخر الحديث و لم يسمع أوله.

ألا ترى أن الله تعالى يقول: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ [الفرقان:٤٥]. يريد: ألم تعلم، وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ ﴾ [الفيل:١]. وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٠]. فبان [1] بهذه الآيات صحة ما ادعيناه من الرؤية، وقد تكون بمعنى العلم [2].

[الله واحد]

فإن قيل: ما الدليل على أن الله تعالى واحد؟

قيل له: الدليل على ذلك، أنه لو كان معه ثاني لصح بينهما التمانع، وصحة التمانع تقضي عليهما، أو على أحدهما بالعجز والضعف، لأن المتمانعين إذا تمانعا، يمنع كل واحد منهما صاحبه، أو يكون [3] أحدهما يمنع صاحبه، فإن منع أحدهما صاحبه، وجب القضاء بالضعف على الممنوع، وإن منع كل واحد منهما صاحبه، وجب القضاء عليهما بالضعف، والإله لا يكون ضعيفاً، فثبت أنه واحد لا ثاني معه. وقد نبه الله تعالى على معنى هذا الدليل بقوله: ﴿ لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الإسراء:٤٢]. وبقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء:٢٢]. وبقوله: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المؤمنون:٩١].

---

(١) في المخطوطة: فيات. مصحفة.

(٢) لعل العبارة هكذا: ما ادعيناه من الرؤية بمعنى العلم.

(٣) لعل كلمة (يكون) زائدة.

[القرآن]

فإن قيل: فما قولكم في القرآن؟

قيل له: نزعم أنه كلام الله، ووحيه ومستزله، وأنه مخلوق، والدليل على ذلك أنه محدَث، ولا محدث له إلا الله، وما أحدثه الله تعالى، فيجب أن يكون مخلوقاً.

فإن قيل: و لم قلتم إنه محدث؟

قيل له: لأنه سور مفصلة، وله أول وآخر، ونصف وثلث وسبع، وما كان كذلك فيجب أن يكون محدثاً، لأن كل ذلك شيء يستحيل على القديم تعالى، وأيضا فإنا قد بينا فيما تقدم من هذا الكتاب أن ما شارك القديم تعالى في كونه قديماً فيجب أن يكون مثلاً له، وقد بينا أن الإله لا مثل له، فوجب أن لا يكون القرآن قديماً، وإن لم يكن قديما فوجب حدوثه، وقد قال الله تعالى وجل ذكره: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنبياء:٢]. وقال: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ ﴾ [الشعراء:٥]. والذكر هو القرآن.

ألا ترى إلى قولَ الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩] ؟



[باب العدل]

[الإرادة]

اعلم أن أفعال القديم تعالى تحسن لوقوعها على وجه، لا تقع عليه [١] إلا إذا كان القديم تعالى مريداً، والذي يدل على ذلك، أنه تعالى قد ثبت أنه آمر ومخبر [٢]، وقد ثبت أن الآمر لا يكون آمراً إلا بأن يكون مريداً للمأمور به، والمخبر [٣] لا يكون مخبراً إلا إذا أراد إيقاع الحروف خبراً، فإذا ثبت ذلك ثبت أن القديم تعالى مريد.

فإن قيل: و لم قلتم إن الآمر لا يكون آمرا إلا إذا كان مريداً للمأمور به، والمخبر لا يكون مخبراً إلا إذا أراد إيقاع الحروف خبراً؟

قيل له: إنما قلنا ذلك لأن لفظ الأمر يصلح للتهدد كما يصلح للأمر [٤]، فلا بد من وجه ما، له يكون الآمر [٥] آمراً، وليس ذلك الوجه إلا كون الآمر مريداً للمأمور به، لأن سائر الأوصاف والمعاني لا تؤثر في ذلك، وكذلك القول في الخبر، لأن الخبر عن زيد بن عبد الله، مثل الخبر عن زيد بن خالد، بل اللفظتان واحدة، فلا بد من أمر ما، له يتعلق كل واحد من الخبرين بمخبره، وليس ذلك غير كون المخبر مريداً إيقاع الحروف خبراً، إذ سائر المعاني والأوصاف لا تؤثر فيه.

فإن قيل: فهل تقولون بأنه تعالى مريد بإرادة محدثة لنفسه [٦]، أومريد بإرادة محدثة؟

قيل له: نقول إنه مريد بإرادة محدثة [١]، ونحيل القول إنه مريد لنفسه، لأنه لو كان مريداً لنفسه لوجب أن يكون مريدا لجميع الإرادات، [وهذا] يودي أن يكون

---

(١) في المخطوطة: عليها. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في المخطوطة: آمرا ومخبرا.

(٣) في المخطوطة: والمخبر عنه لا يكون مخبراً. ولعل الصواب حذف كلمة (عنه).

(٤) في المخطوطة: يصلح التهدد كما يصلح الأمر. ولعل الصواب ما أثبت.

(٥) في المخطوطة: للآمر. ولعل الصواب ما أثبت.

(٦) لعل السؤال هكذا: مريد لنفسه؟ أو مريد بإرادة محدثة.

---

(١) اختلف أصحابنا وغيرهم في حقيقة الإرادة الإلهية على أقوال:

الأول: الوقف في حقيقتها مع اعتقاد أن الله يريد الحسن ويكره القبيح.

وهذا قول الحسن بن بدر الدين، والهادي بن إبراهيم، والإمام شرف الدين، والمفتي، والجلال.

الثاني: إرادته في أفعاله فعله، وفي فعل غيره الأمر به، والإخبار نفس الخبر.

وهذا قول الصادق، والهادي، والقاسم العياني، والإمام أحمد بن سليمان، والسيد حميدان، وقديم قولي الإمام القاسم بن محمد، والنظام، وأبي الهذيل.

الثالث: إرادته علمه باشتمال الفعل على مصلحة، وكراهته علمه باشتماله على مفسدة.

وهو قول الإمام يحيى بن حمزة، والقول الثاني للإمام القاسم بن محمد، وأبي الهذيل، والنظام، والبلخي، والجاحظ، والخوارزمي، ونسبة هذا القول إلى معتزلة بغداد بناء على أن هذا القول والقول الثاني السابق بمعنى واحد. وبيانه: أنه سبحانه مريد لا بإرادة لاستحالة حقيقتها في حقه، وقد ثبت كونه عليما حكيما، فإذا عَلم كون فعله مشتملا على المصلحة أوجده من غير تقدم ضمير، فصح إطلاق اسم الإرادة على علمه تعالى، وصح إطلاق اسم الإرادة في حقه تعالى على المراد، لما لم يكن بينه وبين مراده واسطة إرادة.

الرابع: إرادته معنى حادث موجود لا في محل غير مراد في نفسه.

وهو قول المؤيد بالله، والسيد ما نكديم، وأبي طالب، والمنصور بالله، والأمير الحسين، والمهدي، وجماهير المعتزلة، كأبي علي، وأبي هاشم، والقاضي، وأبي عبد الله البصري، وغيرهم.

الخامس: إرادته: معنى قديم قائم بذاته. وهو قول الأشعرية.

السادس: أن الله مريد لذاته. وهو قول النجارية من المجبرة.

وثمت أقوال أخرى أعرضنا عنها لسخافتها.

وأسلم الأقوال فيما أرى القول الأول، وهو ما نطق به القرآن الكريم. وعذري في إيراد هذه المقالات إشارة الإمام إليها، وذكره لمذهبه وإلا فإن الإعراض عن الخوض فيها أسلم.والله تعالى أعلم.

مريداً للضدين في حالة واحدة، وذلك محال، ويجب أن يكون الواحد منا إذا أراد أن يرزق [١] أموالا وأولادا، أن القديم أيضا مريدا [٢] لذلك، وهذا فاسد، فثبت بطلان القول بأنه مريد لنفسه، وإذا بطل ذلك ثبت أنه مريد بإرادة محدثة.

[مراد الله من المكلفين الطاعات]

فإن قيل: ما الذي أراد الله تعالى من جميع المكلفين عندكم من الكافر، والفساق؟[٣]

قيل له: الذي أراد الله تعالى من جميع المكلفين برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، هو الطاعات، الفرائض منها والنوافل، ولا يجوز أن يريد شيئا من القبائح.

ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ۝ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ۝ ﴾ [النساء:٢٦-٢٨]. وقال: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة:١٨٥]. وقال: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ۝ ﴾ [غافر:٣١]. فنفى عن نفسه إرادة القبائح، وبيَّن أنه مريدٌ للطاعة، وكذَّب الله تعالى من أراد إضافة الشرك إلى الله ووبخهم على ذلك، فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝ ﴾ [النحل:٣٥]. وقال: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ۝ ﴾

---

(١) في المخطوطة: أن يردف. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) خبر ليكون. ولعلها: مريد.

(٣) لعلها: الفاسق.

[الأنعام:١٤٨]. ومما يدل على أن الله لا يريد القبائح أنه لو أرادها لوجب أن يكون العصاة مطيعين، وذلك محال، لأن المطيع إنما يكون مطيعاً لوقوعه إذا فعل مراده [١]، وأيضا فإن إرادة القبيح قبيحة، والله تعالى لا يفعل القبائح، فثبت أنه لا يفعل إرادة الكفر والفسوق والمعاصي، فإذا لم يفعل إرادتها لم يكن مريدا لها، وليس يلزمنا ما تظنه المجبرة من أنا قد حكمنا على الله بالضعف، متى قلنا إنه غير مريد لما [٢] وجد من القبائح، لأنه إذا وجد ما كان القديم غير [٣] مريد له، لا يؤثر ذلك في أحواله.

ألا ترى أن كل من مضى من اليهود والنصارى إلى الكنائس والبيَع، لا يوجب ضعفًا للمسلمين والإمام، وإن كان ذلك غير مراد لهم، لأن ذلك لا يؤثر في أحوالهم.

فإن قيل: أوليس المسلمين قد قالوا ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. وهذا خلاف مذهبكم، لأن عندكم أن الله تعالى أراد الطاعات من الكفار، مع أنها لم تكن، وهو غير مريد للمعاصي الكائنة منهم؟

قيل له: إن المسلمين أرادوا بذلك ما يريده الله تعالى من أفعال نفسه، دون أفعال غيره.

ألا ترى أن غرضهم بهذا القول وصف إقراره وثبات امتداحه، وقد علمنا أن وقوع ما يريده الواحد منا من أفعال عبادته، لا يدل على قدرته.

ألا ترى أن العبد قد يفعل ذلك مع ضعف سيده، وإنما يدل على اقتدار المريد ما يقع من المراد، إذا كان من أفعاله، فوجب أن يكون غرض المسلمين ما بيَّناه، فإذا صح ذلك لم يجب له فساد مذهبنا.

---

(١) لعل هنا سقطا.

(٢) في المخطوطة: لها. مصحفة.

(٣) في المخطوطة: غيره مريدا له. ولعل الصواب ما أثبت.

فــصل

[الله غير مريد للقبائح]

فإن سأل سائل فقال: ما الدليل على أن الله تعالى لا يفعل شيئا من القبائح؟

قيل له: الدليل على ذلك أنه تعالى قد ثبت:

ـــ استغناؤه عن جميع القبائح.

ـــ وكونه عالماً بقبحها.

ـــ وعالم باستغنائه عنها.

والعالم بقبح القبيح متى استغنى عنه، لا يجوز أن يختاره على وجه من الوجوه.

فإن قيل: فَلِمَ قلتم إنه سبحانه مستغنٍ عن جميع القبائح؟

قيل له: لأنه لا يخلو من أن يستحيل عليه عز وجل الشهوة ونفور النفس، أو لا يستحيلان عليه؟

فإن استحالا عليه ثبت استغناؤه عن جميع الأشياء، لأن المحتاج إنما يحتاج إلى إدراك ما يشتهيه، أو دفع ما تنفر نفسه عنه، فمن استحالت عليه الشهوة ونفور النفس، استحالت عليه الحاجة. والحي إذا استحالت عليه الحاجة ثبت استغناؤه عن الأشياء. فإن صح عليه الشهوة ونفور النفس ـــ تعالى عن ذلك ـــ استغنى بالحسن عن القبيح، لأن المحتاج ليس يحتاج إلى الشيء على الوجه الذي يقبح دون الوجه الذي يحسن، وإنما يحتاج إليه فقط. وفي كلا [1] الأمرين ثبوت استغناء القديم تعالى عن المقبحات.

فإن قيل: و لم قلتم إنه عالم بقبح المقبحات، وعالم باستغنائه عنها؟

قيل له: قد قدمنا الكلام في أنه تعالى لا يجوز أن يكون عالماً بعلم، وإذا بطل أن يكون عالماً بعلم، ثبت أنه تعالى عالم لنفسه، ومن حكمِ العالم لنفسه أن يعلم المعلومات كلها، على جميع الوجوه التي يصح أن تعلم عليها.

---

(١) في المخطوطة: كل. ولعل الصواب ما أثبت.

فإن قيل: فهل تقولون إن ما يقبح عندكم فعله، يقبح من الله تعالى فعله؟
قيل له: نقول إنه يقبح فعله من القديم تعالى، متى فعله على الوجه الذي إذا فعلناه عليه قُبحَ منا. والذي يدل على ذلك أن الذي يقبح إنما يقبح لصفة ترجع إليه، لا لصفة ترجع إلى الفاعل.
ألا ترى أن المؤمن [١] فيه صفاته الراجعة إليه، مثال ذلك أن الخبر يقبح لكونه كذباً، فلو خرج عن كونه كذبا لَحَسُنَ، وكذلك الضرب، قد يقبح لتعرّيه من المنافع، فلو حصلت فيه المنافع لَحَسُن.
فبان بذلك أن الموجب لقبح الفعل هو ما يرجع إلى الفعل من الأحكام، فإذا كان ذلك كذلك وجب أن يقبح من القديم تعالى ما يقبح منا، إذا فعله على الوجه الذي لكونه عليه قبح منا فعله.

[هل يُعذب الله من لا ذنب له]

فإن قيل: فهل يجوز أن يعذب الله أطفال المشركين في الآخرة؟
قيل له: لهم لا يجوز.
فإن قيل: فما الدليل على ذلك؟
قيل له: لأنه لا يحسن أن يُعاقب إلا من يستحق العقاب، بارتكاب المعاصي، أو بالإنصراف عن الواجبات، أو بفعل. وقد علمنا أن الأطفال لم يرتكبوا شيئا من المعاصي، ولا انصرفوا عن شيء من الواجبات، وقد [٢] قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام:١٦٤، الإسراء:١٥، فاطر:١٨، الزمر:٧]. وقال: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٩]. ولا ظلم أقبح من تعذيب الطفل، ولا جناية له اكتسبها، ولا جريرة اقترفها، ولا واجباً تركه.

---

(١) هكذا في المخطوطة، ولعل في الكلام سقطا، والله أعلم.

(٢) في المخطوطة: فقد.

فإن قيل: أليس يحسن من الله تعالى إيلامهم في الدنيا، وكذلك إيلام البهائم، وسائر ما لا تكليف عليه، فما أنكرتم أن يحسن منه تعالى تعذيب أطفال المشركين في الآخرة؟

قيل له: إنما يحسن من الله تعالى إيلام الأطفال والبهائم في الدنيا، لأمرين:

أحدهما: أنه استصلاح للمكلفين.

والثاني: أن الله سبحانه وتعالى معوِّض لهم على ما نالهم من الآلام، وحل بهم من الأسقام، عوضا يربى، والآخرة ليست دار تكليف، فيستصلح بإيلامهم غيرهم، ولا هم يعوضون على ما تلحقهم من الآلام عند من أجاز ذلك، فوجب أن لا يكون حكم تعذيبهم في الآخرة مثل حكم إيلامهم في الدنيا.

[أفعال العباد ليست من خلق الله]

فإن قال قائل: فما الدليل على أن أفعال العباد غير مخلوقة لله، وأن العباد هم الذين يحدثونها؟

قيل له: الدليل على ذلك بأنها تقع بحسب أحوالهم، ودواعيهم، وهم الذين يستحقون عليها المدح والذم، فثبت تعلقها بهم، ولا وجه يصح من أجله تعلق الفعل بالفاعل إلا الحدوث، فواجب أن تكون هذه الأفعال محدثة من جهة العبيد، دون جهة الله تعالى، فبان أنها غير مخلوقة لله تعالى. وأيضا فقد ثبت أن من فعل الظلم يكون ظالماً، ومن فعل الكذب يكون كاذباً، ومن فعل العدل يكون عادلاً، ومن فعل الصدق يكون صادقاً، فلو كان الفاعل لها لوجب أن يكون ظالماً بظلمنا، وكاذباً بكذبنا، وعادلاً بعدلنا، وصادقاً بصدقنا، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فإن قيل: أليس الله يخلق الولد، ولا يكون والداً [1] والحركة ولا يكون متحركاً؟! وما أنكرتم أن يخلق الله الظلم ولا يكون ظالماً، والكذب ولا يكون كاذباً، والصدق ولا يكون صادقاً به، والعدل ولا يكون عادلاً به؟

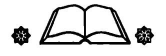
---

(١) سقط من المخطوطة: والداً. وجواب السؤال يقتضيها فأثبتناها.

قيل له: ليس يشتبه الأمران، لأن الظالم اسم لمن فعل الظلم، والصادق اسم لمن فعل الصدق، فمن فعل الظلم والكذب والعدل والصدق، لا بد من أن يكون ظالما وكاذبا وعادلاً وصادقاً، والمتحرك ليس اسما لمن فعل الحركة، بل هو اسم لمن حلّته، والوالد [1] ليس اسما لمن فعل الولد، وإنما هو اسم لمن وُلِدَ المولود على فراشه، فلا يجب أن يكون مَن فَعَلَ الحركة والولَدَ متحركاً والداً.

فإن قيل: فهل تقولون إن الإستطاعة قبل الفعل؟

قيل له: نعم. والذي يدل على ذلك أنها لو كانت مع الفعل لكان الله قد كلف عباده ما لا يطيقون، لأنه قد كلف الكفار أن يؤمنوا، فلو كانت الإستطاعة مع الفعل لكان الكافر غير مستطيع للإيمان، وقد ثبت أن تكليف ما لا يطاق قبيح، فوجب أن يكون الذي يؤدي إليه من القول فاسداً. وأيضا فلو كانت الإستطاعة مع الفعل لكان من يتوضأ أبداً بالماء، غير قادر على التوضؤ به، ولو كان غير قادر على التوضؤ به، لوجب أن يكون التيمم جائزا له، لأن المسلمين قد أجمعوا على أن من لم يقدر على التوضؤ بالماء جاز له التيمم، وفي هذا أن الواجد للماء لو صلى طول عمره بالتيمم، أجزاه!! وأيضا فلو كانت الإستطاعة مع الفعل لكان يجب أن يكون الإنسان لو أكل الميتة طول عمره لم يأكل إلا المباح، لأن عندهم أن آكل الميتة لا يقدر على أكل غيرها، والمسلمون قد أجمعوا على أن من لم يقدر إلا على أكل الميتة فأكلها مباح، وهذا المذهب أكثر فساداً من أن يحتاج فيه إلى الإكثار.



(١) في المخطوطة: والولد. والصواب ما أثبت.

باب النبوة

إن سأل سائل: فقال ما قولكم في النبوة؟

قيل له: نقول إن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله تبارك وتعالى، إلى كافة خلقه، ونقول إن كل ما أتى به من عند الله فهو حق، وما أخبر به فهو صدق، ويقر بنبوته جميع الأنبياء الذين أخبر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بنبوتهم، والدليل على ذلك ما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات الدآلة على نبوته، [منها] إشباعه الناس الكثير بالطعام اليسير (١)، ومنها

---

(١) عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة فأصابنا جهد حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا، فأمر نبي الله فجمعنا تزوادنا فبسطنا له نطعاً فاجتمع زاد القوم على النطع، قال: فتطاولت لأحرزه كم هو، فحرزته كربضة العنز ونحن أربع عشرة مائة، قال: فأكلنا حتى شبعنا جميعاً ثم حشونا جُرُبنا، فقال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم: فهل من وضوء؟ قال: فجاء رجل بأدواة فيها نطفة فأفرغها في قدح، فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة أربع عشرة مائة، قال: ثم جاء بعد ذلك ثمانية، فقالوا: هل من طهور؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فرغ الوضوء. أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الضيافة، في باب استحباب خلط الأزواد إذا قلّت.

وعن جابر بن عبد الله قال: لما حفر الخندق رأيت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمصاً فانكفأت إلى امرأتي فقلت لها: هل عندك شيء ؟ فإني رأيت برسول صلى الله عليه وآله وسلم خمصاً شديداً فأخرجت لي جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن، قال: فذبحتها وطحنت ففرغت إلى فراغي فقطعتها في برمتها ثم وليت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: لا تفضحني برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه، قال: فجئته فساررته فقلت: يا رسول الله إنا قد ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعاً من شعير كان عندنا فتعال أنت ونفر معك، فصاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع لكم سواراً فحيهلا بكم، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينتكم حتى أجيء، فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقدم الناس حتى جاءت امرأتي فقلت: بك وبك، فقلت: قد فعلت الذي قلت لي، فأخرجت له عجينتنا فبصق فيها وبارك، ثم عمد إلى من برمتنا فبصق فيها وبارك، ثم قال: إدعي خابزة

إجابة الشجرة له حين دعاها (١)، ومنها تسبيح الحصى في يده (١)، وغير ذلك مما يكثر عده وإحصاؤه ، ومعظم ذلك كله هو القرآن.

فلتخبز معك، وأقدحي من برمتكم ولا تنزلوها وهم ألف، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجينتنا لتخبز كما هي. أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الأشربة، في باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه.

(١) عن عبادة بن الوليد قال: خرجت أنا وأبي نطلب العلم في الحي من الأنصار قبل أن يهلكوا، فكان أول من لقينا أبا اليسر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم ساق الحديث ... إلى أن قال: ثم مضينا حتى أتينا جابر بن عبد الله رضي الله عنه في مسجده وهو يصلي ... إلى أن قال جابر: سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى نزلنا وادياً أفيح، فذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقضي حاجته فاتبعته بأداوة من ماء، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم ير شيئا يستتر به فإذا شجرتان بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: انقادي عليَّ بإذن الله، فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: انقادي عليَّ بإذن الله فانقادت معه كذلك، حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما لأم بينهما – يعني جمعهما – فقال: التئما عليَّ بإذن الله فالتأمتا ... إلى أن قال جابر: فحانت مني لفتة فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقبلا وإذا الشجرتان قد افترقتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق ... الحديث. أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزهد، في باب حديث جابر الطويل.

وعن ابن عباس قال: جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: بما أعرف أنك نبي ؟ قال: إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد إني رسول الله ؟ فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: ارجع فعاد، فاسلم الأعرابي. أخرجه الترمذي ٢/٢٨٥.

وعن ابن عمر قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله: أين تريد؟ قال: إلى أهلي، قال: هل لك في خير؟ قال: وما هو؟ قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، قال: ومن يشهد على ما تقول؟ قال: هذه

[إعجاز القرآن]

فإن قيل: ومن أين علمتم أن القرآن معجز؟

قيل له: إنا قد علمنا ضرورة ذلك أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أتى به، وتحدى العرب وقرَّعهم بالعجز عن الإتيان بمثله، فإن العرب لم يعارضوه، وقد علمنا أنه لا يجوز أن يكون تركهم للمعارضة إلا للعجز، لأنه قد ثبت حرصهم على إبطال أمره، وتوهين شأنه، حتى بذلوا مهجهم وأموالهم، وقتلوا أبناءهم، وآباءهم. ومعلوم بكمال العقل أن من تحداه خصمه بأمر من الأمور، وقرعه بالعجز عن الإتيان بمثله، فلا يجوز أن يعدل عن الإتيان بمثله، إلى ما هو أشق منه، إلا إذا تعذر عليه ذلك، ولا التباس في أن القتال أشق من معارضة الكلام، فلولا أنهم عجزوا عن المعارضة لم يجز أن يكونوا قد عدلوا عنها إلى القتال، وثبت بذلك عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن، فإذا ثبت عجزهم وثبت عجز جميع البشر — إذ العرب هم الغاية في الفصاحة والطلاقة — فثبت أن القرآن معجز.

فإن قيل: وكيف يدل المعجز على أن من أُظهر على يديه فهو نبي؟

قيل له: لأن المعجز كالتصديق.

ألا ترى أن من يدعي النبوة يقول: اللهم إني إن كنت صادقا فاقلب هذه العصا حية، وأنطق هذا الذئب، وما جرى مجراه، فإذا فعل ذلك عند ادعائه [٢] غاية دعواه، كان ذلك الفعل تصديقاً له، وقد ثبت أن تصديق الكاذب قبيح، وأن الله لا

السـلمة، فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي بشاطئ الوادي، فأقبلت تخد الأرض خداً حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثاً فشهدت ثلاثا أنه كما قال، ثم رجعت إلى منبتها ورجع الأعرابي إلى قومه وقال: إن اتبعوني أتيتك بهم، وإلا رجعت مكثت معك. أخرجه الدارمي في سننه ١/ ٩.

(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة.

(٢) في المخطوطة: دعائه. ولعل الصواب ما أثبتنا.

يفعل القبيح، فثبت أن من صدَّقه الله بإظهار العلم عليه، صادق فيما ادعاه من النبوة، ولما بيناه قلنا إن المجبرة لا يمكنها الإستدلال بالمعجز على نبوة من ظهر عليه، لأن عندهم أن الله تعالى يفعل كل فعل يشار إليه، قبيحاً كان أو حسناً، وأن له أن يضل عباده فما [١] يؤمِّنهم أن يصدِّق الكاذبين في ادعاء النبوة.

[أخبار النبي صدق]

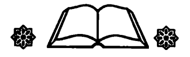
فإن قيل: و لم قلتم إن جميع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم صدق؟

قيل له: لأنه قد ثبت كونه رسولاً لله تعالى، وقد ثبت أن الحكيم لا يجعل رسوله من يكذب أو يفتري في شيء يؤديه عنه، فهذا دليل على صدقه عليه السلام في جميع ما يؤديه عن الله تعالى.

فأما ما يدل على صدقه في سائر ما يخبر به عنه، فإجماع المسلمين على أن تصديق النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جميع ما يخبر به عن الله واجب [٢]، فثبت أنه صادق في جميع ما يخبر به، وفي جميع ما يدل على صدقه في جميع أخباره أن الكذب ينفر الأمة، والله تعالى لا يبعث رسولا على وجه يقتضي تنفير أُمته، فثبت أنه لا يبعث إلا من يعلم أنه لا يكذب في شيء مما يخبر به.

ألا ترى انه تعالى جنَّب نبيه الغلظة والفظاظة، لما علم أنهما يؤديان إلى التنفير، فقال تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

فإذا ثبت وجوب صدقه صلى الله عليه وآله وسلم، ثبت وجوب ما أخبر بوجوبه من الصلوات والزكوات والصيام والحج وسائر الشرائع، وكل ما أخبر بتحريمه منه.



(١) في المخطوطة: فيما. ولعل الصواب ما أثبت، والله أعلم.

(٢) في المخطوطة: فواجب. ولعل الصواب ما أثبتناه.

باب الوعد والوعيد

فإن قيل: فما قولكم في الوعد والوعيد؟

قيل له: نقول إذا ثبت بما قدمنا من الدليل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجب كونه صادقا في جميع ما أخبر به عن الله تعالى، فيجب أن يقطع على أن جميع ما أخبر به عن الله تعالى من الوعد والوعيد حق، وإذا ثبت ذلك، ثبت أن ما أخبر الله تعالى به من أنه ثابت يثيب غداً، ويعاقب غدا، فإنه كائن لا محالة، ولا يجوز أن يقع في شيء من خبر الله تعالى، ولا خبر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم خُلف ولا تبديل، قال الله تعالى: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق:٢٩].

[تخليد أهل الكبائر في النار]

فإن قيل: فما قولكم في فسق أهل الصلاة المرتكبين للكبائر؟

قيل له: نقول إنهم معذبون في الآخرة بالنار، خالدين فيها أبدا.

والدليل على ذلك قول الله عز وجل: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ [النساء:١٤]. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝ ﴾ [الانفطار:١٣-١٦]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۝ ﴾ [الجن:٢٣]. فهذه الآيات قد حكمت بأن كل من ارتكب الكبائر، ولزمه اسم الفسق معذب في النار أبداً، فأما من تاب فإنه مخصوص في هذه الآيات بقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ [مريم:٦٠]. وبقوله تعالى: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾ [المائدة:٣٩].

فأما أصحاب الصغائر فقد أخبر الله تعالى عنهم أنه يغفر لهم، قال تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ۝ ﴾ [النساء:٣١].

فإن قيل: ما أنكرتم أن تكون الآيات التي نفت الوعيد إنما هي في الكفار؟
قيل له: لو كان ذلك كذلك، لدل الله سبحانه على مراده، وإذ [١] لم يدل على ما ادعيتم فقد ثبت في تلك الآيات أنها عامة في الكفار وغيرهم.
فإن قيل: فما تنكرون على من قال لكم إن في القرآن ما يوجب تخصيص هذه الآيات وتبيين أن المراد بها هم الكفار،و هو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨، ١٦٦] [٢]؟
قيل له: أما قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾، فليس فيه ذكر ما دون الشرك، وهو قوله تعالى: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾. ليس فيه دليل على أنه يغفر كل ما دون الشرك لمن يشاء، بل فيه دليل على أنه يغفر بعض ما دون الشرك.
ألا ترى أنه قال: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾. فعلقه بالمشيئة، و لم يقل ويغفر كل ما دون ذلك، ثم بيّن الله بقوله: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [النساء:٣١]. ما الذي يشاء أن يغفر مما دون الشرك، فبيّن أنه هو الصغائر، تغفر لمجتنب الكبائر، فقد بان أن هذه الآية لم توجب كون تلك الآيات خاصة في الكفار على ما ظنته المرجئة .

[الشفاعة]

إن سأل سائل فقال: ما تقولون في الشفاعة؟ وهل تجوزونها لأهل الكبائر؟
قيل له: إنا نقول إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشفع للمؤمنين التائبين، ولا يشفع لأهل الكبائر، لقوله تعالى: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ [غافر:١٨]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ

---

(١) في المخطوطة: وإذا. ولعل الصواب ما أثبتناه.
(٢) سقطت الآية من المخطوطة: وأقحم الناسخ بعدها خطأ : قيل له: أما قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء:٤٨]، فليس فيه ذكر ما دون ذلك لمن يشاء.

خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٨]. وقوله تعالى: ﴿ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الزمر:١٩]. ثم سائر الآيات التي تلوناها في إثبات الوعيد دآلة على أن أهل الكبائر معذبون، نعوذ بالله من عذابه ونسأله العون على الإنابة والتوبة والعصمة.

وإذا ثبت أنهم معذبون، ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يشفع لهم.

فإن قيل: فإذا لم تجوزوا الشفاعة إلا للمؤمنين فلا معنى لها، فلا فائدة فيها، لأن المؤمنين قد استحقوا الغفران والثواب وإن لم يشفع لهم شافع؟

قيل له: ليس الأمر على ما ظننت، لأن الشفاعة تكون عندنا للمؤمنين في المزيد، وما يتفضل به عليهم من أنواع النعيم التي لا يستحقونها بعد ما يُوفون أجورهم المستحقة، وهذا معقول في الشاهد، لأن الإنسان كما يشفع لغيره في إزالة العقاب عنه، قد يشفع ليتفضل عليه ويزاد على مستحقه من المنافع.

فإن قيل: فما تقولون فيما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي »[1]؟

قيل له: معنى هذا الحديث عندنا إن صح وثبت: هو فيمن تاب من أهل الكبائر، لأن من تاب منهم إذا لم تكثر طاعته بعد التوبة قلّ ما يستحقه من الثواب، يشفع له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليتضاعف ما يصل إليه من المنافع، هذا معنى الخبر وتأويله.

---

(١) أخـرج الحديـث بلفظ: « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ». الترمذي ٤/ ٤٥، وابن ماجة ٢/ ١٤٤١، وأبـو داود ٥/ ١٠٦، وابن خزيمة/ ٢٧٠، وابن حبان كما في الموارد/ ٦٤٥، والحاكم ١/ ٦٩، والخطيـب في موضـح أوهام الجمع والتفريق ٢/ ٥٦، والبخاري في التاريخ الكبير ٢/ ١٢٦، والآجري في الشريعة/ ٣٣٨، وأبو داود الطيالسي ٢/ ٢٢٨، وأبو نعيم ٣/ ٢٠١.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٧٨: رواه البزار، والطبراني في الصغير والأوسط.

وأخـرج الخطيـب في تاريخـه:« شفاعتي لأهل الذنوب من أمتي ». قال أبو الدرداء: وإن زنى وإن سـرق؟!! فقـال رسول الله صلى الله عليه وآله: « نعم وإن زنى وإن سرق على رغم أبي الدرداء ». التاريخ ١/ ٤١٦.



باب الإمامة

[إمامة علي عليه السلام]

إن سأل سائل فقال: مَن الإمام عندكم بعد رسول صلى الله عليه وآله وسلم؟
قيل له: هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، نقول ثم الحسن ثم الحسين عليهما السلام.

ونستدل على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بقول النبي صلوات الله عليه وعلى آله وسلم يوم الغدير مخاطبا للأمة: « من أولى بكم من أنفسكم؟ فقالوا: الله ورسوله ـــ ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم ـــ: من كنت مولاه فعلي مولاه »[1]، فقدر

---

(١) هـــذا الحديث يعرف بحديث الغدير،وهو من أكثر الأحاديث شهرة، فقد رواه مئات من المحدثين عن جمع من الصحابة منهم:

الإمام علي عليه السلام، أخرجه عنه: الإمام أبو طالب في الأمالي ٣٣، والنسائي في الخصائص ١٥٦، وأحمد في المسند ١/١٥٢، وأبو يعلى ١/٤٢٨(٥٦٧)، والطبراني في الصغير ١/١١٩، والطيالسي ٢٣ (١٥٤)، والطبري في ذخائر العقبى ٦٨، والرياض النضرة ٢/١٦١.

وعن ابن عباس، أخرجه عنه: الحاكم ٣/١٣٢، وأحمد ١/٣٣، والنسائي في الخصائص ٤٥ رقم (٨١ و ٨٢)، والخطيب البغدادي ١٢/٣٤٤، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وعـــن زيـــد بـــن أرقم، أخرجه عنه: أحمد ٤/٣٦٨ و ٣٧٠، ومسلم ٢/ ٣١٧، والحاكم ٢/١٠٩، والنســـائي في الكبرى ٥/ ٤٥(٨١٤٨)، والطبراني في الأوسط ٢/٥٧٦(١٩٨٧)، والطبري في ذخائر العقبى ١٥٥.

وعـــن البراء بن عازب، أخرجه عنه: الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في المناقب ٢/ ٣٦٨ (٨٤٤)، وابـــن ماجـــة ١/٤٣ برقم (١١٦)، والنسائي في الخصائص ١٦٢، والخطيب البغدادي ١٤/٢٣٦، والطبري في الذخائر ٦٧، وأحمد في المسند ٤/٢٨١.

عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، أخرجه عنه: أحمد ١١٨/١، والنسائي في الخصائص ١٥٠، و ابن حبان ١٥/ ٣٧٥ (٦٩٣١)، والحاكم في المستدرك ١٠٩/٣و١١٠و٥٣٣، وابن الأثير في أسد الغابة ٣/ ٩٢٥و ٢١٧/٥، والهيثمي في المجمع ٤٢/٩.

عن سعد بن أبي وقاص، أخرجه عنه: ابن ماجة ٤٢/١ برقم (١١٥) وص ٤٥برقم (١٢١)، والنسائي في الخصائص ١٧٦برقم (٩٤و٩٥) وص ١٧٧برقم (٩٦)، والحاكم في المستدرك ٣/ ١١٦، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠٧/٩.

عن جرير بن عبدالله، أخرجه عنه: الطبراني في الكبير ٣٥٧/٢(٢٥٠٥).

وعن حبشي بن جنادة، أخرجه عنه: الطبراني في الكبير ١٦/٤(٣٥١٤).

وللحديث طرق كثيرة يطول الكلام عليها، وفيما يلي سنذكر شيئا مما قيل عن الحديث:

قال ابن المغازلي الشافعي في (المناقب ٢٧): قال أبو القاسم الفضل بن محمد: هذا حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد روي عن نحو من مائة نفس منهم العشرة، وهو حديث ثابت لا أعرف له علة.

قال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة في (الشافعي ١١٧/١): لا يوجد قط نقل بطرق بقدر هذه الطرق فيجب أن يكون أصلا متبعاً وطريقا مهيعاً.

قال الإمام الحسن بن بدر الدين في (أنوار اليقين/ مخطوط): أما خبر الغدير فقد روي بطرق مختلفة وأسانيد كثيرة وألفاظ مختلفة مترادفة على معنى واحد، وأجمع عليه أهل النقل، وبلغ حد التواتر لا إشكال في تواتره.

وقال ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري٦١/٧): وأما حديث: « من كنت مولاه فعلي مولاه ». أخرجه الترمذي والنسائي، هو كثير الطرق جداً وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد وكثير من أسانيدها صحاح وحسان.

وقال الذهبي في (تذكرة الحفاظ ٧١٣/٢): رأيت مجلداً من طرق الحديث لابن جرير فاندهشت له ولكثرة تلك الطرق.

وقال كما في (مفتاح كنز دراية المجموع ١٠٧): وأما حديث من كنت مولاه فعلي مولاه فله طرق جيدة وقد أفدت ذلك — يعني في كتاب —.

وقال الحافظ: محمد بن إبراهيم الوزير: إن حديث الغدير يروى بمائة طريق وثلاث وخمسين طريقاً.

وقال السيد الهادي بن إبراهيم الوزير في (نهاية التنويه/ مخطوط): من أنكر خبر الغدير فقد أنكر ما عُلم من الدين ضرورة، لأن العلم به كالعلم بمكة وشبهها، فالمنكر سوفسطائي.

وقال ابن الجزري في (أسنى المطالب ٣-٤): هو حديث متواتر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، رواه الجم الغفير عن الجم الغفير ولا عبرة بمن حاول تضعيفه ممن لا إطلاع له في هذا العلم.

وقال المقبلي في (الأبحاث المسددة ٢٤٤): فإن كان مثل هذا ــ يعني حديث الغدير ــ معلوماً وإلا فما في الدنيا معلوم.

وقال ابن حجر الهيثمي في (الصواعق المحرقة ٤٢): حديث صحيح لا مرية فيه، وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد، وطرقه كثيرة من أسانيدها صحاح وحسان، ولا التفات إلى من قدح في صحته.

وقال علي القاري في (المرقاة شرح المشكاة ٥/٥٦٨): هذا الحديث صحيح لا مرية فيه، بل بعض الحفاظ عده متواتراً إذا في رواية أحمد أنه سمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ثلاثون صحابياً وشهدوا به لعلي لما نو ع أيام خلافته.

وقال ابن الأمير الصنعاني في (الروضة الندية ٦٧): حديث الغدير تواتر عند أكثر أئمة الحديث.

أورده السيوطي في (الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة /١): عن ثمانية عشر صحابياً.

وأورده الكتاني في (نظم المتناثر في الحديث المتواتر).

وذكره الحناوي في كتاب(الصفوة) وصرح بتواتره.

وذكره الزبيدي في (لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة ٢٠٥) من اثنين وعشرين طريقاً.

وأورده الأميني في كتاب (الغدير ١/١٤- ١٥١) عن مائة وعشرة من الصحابة. وأفرد قسماً لطبقات رواته الذين بلغ عددهم عنده ثلاث مائة وستين عالماً. من تخريج الأستاذ محمد يحيى عزان.

(١) أخرجه الإمام الأعظم زيد بن علي (ع) في المجموع ٤٠٧ــ ٤٠٨، والإمام الهادي (ع) في الأحكام ١/٣٨، والإمام أبو طالب في أماليه ٣٢،٣٥، ومحمد بن سليمان الكوفي في المناقب رقم (٤١٩)، والمؤيد بالله في الأمالي الصغرى ١٠٤(٢٠)، والبخاري ٥/٩٩ و ٦/١٨، ومسلم ٤/١٨٧٠(٢٤٠٤)، والترمذي ٥ رقم(٣٧٣١)، وابن ماجة ١/٤٢ رقم (١٧٥) و١/٤٥ رقم(١٢١)، والحاكم

لنفسه وجوب الطاعة على الأمة، ثم أثبت لعلي عليه السلام منه ما كان ثابتا له، فوجب أن تكون طاعة أمير المؤمنين عليه السلام واجبة على الأمة، وإذا ثبت وجوب الطاعة ثبتت الإمامة، ويدل عليه قوله عليه السلام لعلي: « أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي »[1]، فأثبت لأمير المؤمنين جميع منازل

في المستدرك ١٠٩/٣، والبزار ٢٧٦/٣ رقم(١٠٦٥)، والحميدي في مسنده ٣٨/١ رقم(٧١)، وأحمد بن حنبل ١٧٧/١ و١٧٩/١، وأبو يعلى في مسنده ٨٦/٢ رقم(٧٣٩)، و٦٦ رقم (٧٠٩) و(٦٩٨)، أبو نعيم في حلية الأولياء١٩٦/٧، والخطيب البغدادي ٣٢٥/١، والطبراني في الكبير ١٤٨/١رقم (٣٣٧)، وفي الصغير ٢٢/٢، وابن الأثير ٢٦/٤-٢٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢١٦/١رقم(٣٤٩)(ترجمة الإمام علي عليه السلام)، عن سعد بن أبي وقاص. وأخرجه الإمام المرشد بالله في الخميسية ١٣٤/١، والطبراني ٢٤٧/٢ (٢٠٣٥) عن جابر بن عبد الله.

وأورده السيوطي في الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة عن عشرين من الصحابة، وتتبع ابن عساكر طرقه فبلغ عدد الصحابة نيفاً وعشرين، وقد استوعب طرقه ابن عساكر في نحو عشرين ورقة، وأورده في لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة ٣١. من تخريج الأستاذ محمد يحيى عزان.

(١) أخرجه الإمام الأعظم زيد بن علي (ع) في المجموع ٤٠٧ـ ٤٠٨، والإمام الهادي (ع) في الأحكام ٣٨/١، والإمام أبو طالب في أماليه ٣٢،٣٥، ومحمد بن سليمان الكوفي في المناقب رقم (٤١٩)، والمؤيد بالله في الأمالي الصغرى ١٠٤ (٢٠)، والبخاري ٩٩/٥ و ١٨/٦، ومسلم ١٨٧٠/٤ (٢٤٠٤)، والترمذي ٥ رقم(٣٧٣١)، وابن ماجة ٤٢/١ رقم (١٧٥) و٤٥/١ رقم(١٢١)، والحاكم في المستدرك ١٠٩/٣، والبزار ٢٧٦/٣ رقم(١٠٦٥)، والحميدي في مسنده ٣٨/١ رقم(٧١)، وأحمد بن حنبل ١٧٧/١ و١٧٩/١، وأبو يعلى في مسنده ٨٦/٢ رقم(٧٣٩)، و٦٦ رقم (٧٠٩) و(٦٩٨)، أبو نعيم في حلية الأولياء١٩٦/٧، والخطيب البغدادي ٣٢٥/١، والطبراني في الكبير ١٤٨/١رقم (٣٣٧)، وفي الصغير ٢٢/٢، وابن الأثير ٢٦/٤-٢٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢١٦/١رقم(٣٤٩)(ترجمة الإمام علي عليه السلام)، عن سعد بن أبي وقاص. وأخرجه الإمام المرشد بالله في الخميسية ١٣٤/١، والطبراني ٢٤٧/٢ (٢٠٣٥) عن جابر بن عبد الله.

هارون إلا النبوة، ومن منازل هارون الإمامة من [بعد] موسى، فثبتت الإمامة لعلي عليه السلام. وقد دل الله تعالى على ذلك في محكم كتابه فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة:٥٥]. ولم يُروَ في أحد أنه زكى وهو راكع غيره، فنزلت هذه الآية فيه، إلا في علي عليه السلام [1]، فثبتت الولاية له.

وأورده السيوطي في الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة عن عشرين من الصحابة، وتتبع ابن عساكر طرقه فبلغ عدد الصحابة نيفاً وعشرين، وقد استوعب طرقه ابن عساكر في نحو عشرين ورقة، وأورده في لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة ٣١. من تخريج الأستاذ محمد يحيى عزان. والطبري في ذخائر العقبى / ٦٣، وفي صفة الصفوة ١/ ١٢٠، وفي الإصابة ٢/ ٣١٥، وابن عدي ٦/ ٦٠٨٨، و ٢٢٢٢.

(١) روى نزول الآية في علي عليه السلام جمع كثير من الصحابة والتابعين منهم:

ـ علي. في البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٣٥٧)، ومناقب الخوارزمي/ ١٨٧،و في معرفة علوم الحديث للحاكم/ ١٠٢، ومناقب ابن المغازلي (ص ٣١٢ رقم (٣٥٥))، والعمدة لابن البطريق/ ٦٠، والمرشد بالله في الأمالي ١/ ١٣٧، ١٣٨، وفرات الكوفي في تفسيره/ ٣٩، ٤٠، والسيوطي في الدر المنثور ٢/ ٢٩٣ عن أبي الشيخ وابن مردويه، والمتقي الهندي في الكنز ٦/ ٤٠٥.

ـ الحسن السبط. ابن الجوزي في تذكرة الخواص / ٢٠٧ – ٢٠٨.

ـ أنس بن مالك. الكنجي في كفاية الطالب / ٢٢٨ – ٢٢٩، ونحوه في شواهد التنزيل رقم (٢٢٢)، (٢٢٣)، ونقله في الغدير (٢/ ١٥٩) عن فضائل الصحابة لأبي سعد السمعاني الشافعي.

ـ أبو ذر الغفاري. الثعلبي في تفسيره، وعنه في مجمع البيان للطبرسي ٢/ ٢١٠، والحسكاني في الشواهد رقم (٢٣٥)، وعنه الغدير ٢/ ٥٢، والعمدة (الفصل ١٥ ص ٥٩).

ـ أبو رافع. المرشد بالله في أماليه ١/ ١٣٨، والطوسي في أماليه ١/ ٥٨، والطبراني، وابن مردويه، وأبو نعيم كما في الدر المنثور ٢/ ٢٩٤، والهندي في الكنز ٧/ ٣٠٥.

ـ جابر بن عبد الله. الحسكاني في الشواهد رقم (٢٣٢)، والأميني في الغدير (٣/ ١٥٩) عن الإبانة لأبي الفتح النطنزي.

ـ عبد الله بن عباس. المرشد بالله في أماليه ١/ ١٣٨، والكوفي في المناقب ١/ ١٥٠ (٥٨)، ١/ ١٦٩ (١٠٠)، والبلاذري في أنساب الأشراف ٢/ ١٥٠، وابن المغازلي في المناقب/ ٣١٣ رقم (٣٥٧)، والطبري في الذخائر/ ٨٨، والواحدي في أسباب النزول/ ١٤٨ – ١٤٩، والخوارزمي في المناقب/ ١٨٦، والحسكاني في الشواهد برقم (٢٣٦ – ٢٣٧)، والطبرسي في مجمع البيان ٢/ ٢١٠ – ٢١١، والكنجي في الكفاية/ ٢٤٩ – ٢٥٠، وابن كثير في تفسيره ٢/ ٧١، والخطيب، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وأبو الشيخ، وابن مردويه، كما في الدر المنثور ٢/ ٢٩٣، وفتح القدير ٢/ ٥٠، والطبري في تفسيره ٦/ ١٨٦، والهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٧ عن الطبراني.

ـ عبد الله بن سلام. الطبري في الذخائر/ ١٠٢ عن الواقدي وابن الجوزي، وفي الرياض ٢/ ٣٠٢ عن الفضائلي. وهو في الجمع بين الصحيحين للعبدري نقلا عن صحيح النسائي ذكر ذلك في جامع الأصول لابن الأثير ٩/ ٤٧٨. والرازي في مفاتيح الغيب ٣/ ٦١٨، والنيسابوري في تفسيره ٦/ ١٦٧ ، والطبرسي في المجمع ٢/ ٢١٠.

ـ عمار بن ياسر. الطبراني، وابن مردويه، كما في الدر المنثور ٣/ ١٠٥. والحسكاني في الشواهد برقم (٣٣١)، وابن كثير في التفسير ٢/ ٧١، والهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٧ عن الطبراني في الأوسط.

ـ المقداد بن الأسود الكندي. الحسكاني في الشواهد رقم (٢٣٤).

ـ محمد بن علي الباقر. ابن المغازلي في المناقب/ ٣١٣، وفرات في تفسيره/ ٣٦ – ٣٧، وأبو نعيم في الحلية، كما في الدر المنثور ٣/ ١٠٦، والكوفي في المناقب ٢/ ٤١٤ (٨٩٦).

ـ محمد بن الحنفية. الكوفي في المناقب ١/ ١٨٩ (١١٠)، والحسكاني في الشواهد برقم (٢٢٤)، (٢٢٥)، وفرات الكوفي في تفسيره / ٢٧، ٣٩، ٤١.

ـ مجاهد بن جبر. الطبري في تفسيره كما في الدر المنثور ٣/ ١٠٥، وابن كثير في تفسيره ٢/ ٧١.

ـ السدي. الطبري في تفسيره كما في الدر المنثور ٣/ ١٠٥.

ـ زيد بن علي. المرشد بالله في أماليه ١/ ١٣٧.

ـ عبد الملك بن جريج. الحسكاني في الشواهد برقم (٢٢٧).

ـ عتبة بن أبي حكيم. الطبري في تفسيره ٦/ ١٨٦.

ـ عطاء بن السائب. الحسكاني في الشواهد برقم (٢٢٦).

فإن قيل: ما أنكرتم أن تكون الآية عامة في جميع المؤمنين؟

قيل له: لا يجوز ذلك، لأنه تعالى أثبت الولي والمولى عليه، لأنه قال: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾. فوجب أن يكون الولي غير المولى من هو ولي عليه، فثبت أن الآية خاصة، وإذا ثبت ذلك ثبت أنها في علي عليه السلام إذ [١] لم يدع أحد أنها خاصة في غيره.

فإن قال: فما تنكرون على من قال لكم إن جميع ما ذكرتم من الآية والخبر لا يوجب له إلا الفضائل والمراتب والمنازل والمناقب دون الإمامة، لأن الصحابة قد أجمعت على إمامة غيره؟

قيل له: لم تجمع الصحابة على إمامة غيره، وذلك أن من يدعي الإجماع على إمامة غيره، لا يدعي البيعة عن كل أحد من الصحابة، وإنما نقول وجدناهم في آخر أمر أبي بكر بين مبائع ومظهر للرضى، وساكت، والسكوت لا يدل على الرضى، إلا إذا سلمت الأحوال، وقد ثبت أنه جرى حينئذ [٢] هناك أمور من القهر والحمل والإلجاء، والسكوت مع هذه الأحوال لا يدل على الرضى.

فإن قيل: وما تلك الأمور التي ادعيتم فيها القهر والحمل والإلجاء؟

ـ سلمة بن كهيل. ابن كثير في البداية والنهاية ٧/ ٣٥٧، والتفسير ٢/ ٧١، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن عساكر، كما في الدر المنثور ٣/ ١٠٥.

وهو في تفسير الزمخشري الكشاف، وتفسير أبي البركات ١/ ٤٩٦، وتفسير النيسابوري ٣/ ٤٦١، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي/ ١٢٣، ومطالب السئول لابن طلحة الشافعي / ٣١، وتذكرة الخواص لابن الجوزي/ ٩، وفرائد السمطين للحمويي في الباب الرابع عشر، والمواقف للقاضي عضد الدين الإيجي ٣/ ٢٧٦، ونور الأبصار للشبلنجي / ٧٧، وروح المعاني للألوسي ٢/ ٣٢٩، وغيرهم كثير كثير.

(١) في المخطوطة: إذا. والصواب ما أثبتنا.

(٢) في المخطوطة: وحينئذ.

قيل له: هي ما نطقت به الأخبار، واتصلت بصحتها الآثار، أن الزبير لما امتنع من البيعة حُمِل عليه، وانتهى الأمر إلى أن كسر سيفه [١]، وأن عمار بن ياسر ضرب [٢] وأن سلمان أستخف به [٣]، وأن فاطمة عليها السلام هجموا على دارها لما

---

(١) قال اليعقوبي : وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار، ومالوا إلى علي بن أبي طالب، منهم: العباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، والزبير بن العوام...

تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٢٤ – ١٢٥، والسقيفة للجوهري حسب رواية ابن أبي الحديد ٢/ ١٣، والإمامة السياسة ١/ ١٠.

وقال عمر بن الخطاب: وإنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه أن عليا والزبير ومن معهما تخلفوا عنا في بيت فاطمة. مسند أحمد ١/٥٥، والطبري ٢/ ٤٦٦، وابن الأثير ٢/ ١٢٤، وابن كثير ٥م ٢٤٦، وصفوة الصفوة ١/ ٩٧، وابن أبي الحديد ١/ ١٢٣، والسيوطي في تاريخه/ ٤٥. وابن هشام ٤/ ٣٣٨ ، وتيسير الوصول ٢/ ٤١.

قال الطبري: أتى عمر بن الخطاب منزل علي، وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فخرج عليه الزبير مصلتا بالسيف، فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه. تاريخ الطبري ٢/ ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٦، وذكر كسر السيف المحب الطبري في الرياض النضرة ١/ ١٦٧، والخميس ١/ ١٨٨، وابن أبي الحديد ١/ ١٢٢، ١٣٢، ١٣٤، ١٥٨، و (٢/ ٢ – ٥، وكنز العمال ٣/ ١٢٨، والإمامة والسياسة ١/ ١١، وأنوار اليقين للأمير الحسين/ ١٣٣، ومصابيح الحسني.

(٢) لم أقف على ضرب عمار بعد بيعة أبي بكر، ولكن في عهد عثمان وربما اشتبه الأمر على الإمام. أما ما كن من أمر عمار فإنه اجتمع ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكتبوا كتابا ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسنة صاحبيه وعددوا أموراً كثيرة... ثم تعاهدوا ليدفعن الكتاب في يد عثمان، وكان ممن حضر الكتاب عمار بن ياسر، والمقداد بن الأسود، وكانوا عشرة فلما خرجوا به إلى عثمان تسللوا عن عمار والكتاب في يده حتى بقي وحده ثم مضى حتى دخل على عثمان وعنده مروان بن الحكم، وأهله من بني أمية فدفع إليه الكتاب فقرأه، فقال له: أنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: نعم. قال: ومن كان معك؟ قال: كان معي نفر تفرقوا فرقا منك. قال: من هم؟ قال: لا أخبرك بهم قال: فَلِمَ اجترأت علي من بينهم؟ فقال:

تأخر علي عليه السلام عن البيعة [٢]، وأن سعد بن عبادة لما أظهر الكراهة اضطر إلى مفارقة المدينة، ثم رشق بسهم في أيام عمر ومات [١]، وإذا صح هذا الذي

مروان: يا أمير المؤمنين إن هذا العبد الأسود ــ يعني عمارا ــ قد جرأ عليك الناس، وإنك إن قتلته نكلت به من ورآءه. قال عثمان: أضربوه، فضربوه وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه!!!! فغشي عليه، فجرُّوه حتى طرحوه على باب الدار، فأمرت به أم سلمة زوج النبي عليه الصلاة والسلام، فأدخل منزلها، وغضب فيه بنو المغيرة وكان حليفهم، فلما خرج عثمان لصلاة الظهر، عرض له هشام بن الوليد بن المغيرة، فقال: أما والله لئن مات عمار من ضربه هذا لأقتلن به رجلا عظيما من بني أمية، فقال عثمان: لست هناك. الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ٣٢ – ٣٣. وأنوار اليقين/ ١١ للأمير الحسين، ومروج الذهب ٢/ ٣٤٧. وتاريخ الخميس٢/٢٧١،والسيرة الحلبية ٢/٧٨، وشرح نهج البلاغة ١/٢٣٨، وأنساب الأشراف ٥/٤٨.

(١) ذكر في أنوار اليقين: أنهم وجأوا عنقه حتى خفض إلى الأرض. / ١١.

(٢) غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر منهم: علي بن أبي طالب والزبير فدخلا بيت فاطمة ومعهما السلاح. الرياض النضر ١/ ٢١٨، والجوهري برواية ابن أبي الحديد ١/ ١٣٢، و٦/ ٢٩٣، وتاريخ الخميس ٢/ ١٦٩.

فبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة، وقال له: إن أبو فقاتلهم، فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيتهم فاطمة فقالت: يا ابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟ قال: نعم، أو تدخلوا في ما دخلت فيه الأمة. ابن عبد ربه ٣/ ٦٤، وأبو الفداء ١/ ١٥٦، وانظر انساب الأشراف ١/ ٥٨٦، وكنز العمال ٣/ ١٤٠، والرياض النضرة ١م ١٦٧، وشرح ابن أبي الحديد ١/ ١٣٢، والخميس ١/ ١٧٨، وأنوار اليقين لأمير الحسين/ ١٣، ومصابيح الحسني، وأعلام النساء ٣/١٢٥.

وقال اليعقوبي: فأتوا في جماعة حتى هجموا على الدار ــ إلى قوله ــ وكسر سيفه ــ أي سيف علي ــ ودخلوا الدار فخرجت فاطمة فقالت: والله لتخرجن أو لأكشفن شعري ولأعجن إلى الله، فخرجوا وخرج من كان في الدار. تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٢٦.

قـــال أبو بكر في مرض موته: أما إني لا آسي على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتهن، وددت أني تركـــتهن... إلى قوله: فأما الثلاث التي فعلتها فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قـــد أغلقوه على الحرب. تاريخ الطبري ٢/ ٦١٩، ومروج الذهب ١/ ٤١٤، وابن عبد ربه ٣/ ٦٩، وكنز العمال ٣/ ١٣٥، والإمامة والسياسة ١/ ١٨، وتاريخ الذهبي ١/ ٣٨٨٠، وغيرهم.

وفي روايـــة اليعقوبي: وليتني لم أفتش بيت فاطمة بنت رسول الله وأدخله الرجال ولو كان أغلق على حرب. تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٣٧.

(١) ذكـــر أن ســـعدا تـــرك اياما بعد بيعة أبي بكر ثم بعث إليه أن أقبل فبايع، فقد بايع الناس وبايع قومك، فقال: أما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبل، واخضب رمحي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يـــدي، وأقـــاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي فلا أفعل. وأيم الله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الإنـــس مـــا بايعتكم حتى أعرض على ربي وأعلم حسابي. تارخي الطبري ٣/ ٤٥٩، وابن الأثير ٢/ ١٢٦، وكنز العمال ٣/ ١٣٤ن والإمامة والسياسة ١/ ١٠، والسيرة الحلبية ٤/ ٣٩٧.

قيل فلما أتي أبو بكر بذلك قال عمر: لا تدعه حتى يبايع.

فقـــال له بشير بن سعد: إنه قد لج وأبى، وليس بمبايعكم حتى يقتل، وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهـــل بيـــته وطائفة من عشيرته، فاتركوه فليس تركه بضآركم، إنما هو رجل واحد. فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد، واستنصحوه لما بدا لهم منه، فكان سعد لا يصلي بصلاتهم ولا يجتمع معهم ولا يحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم... إلخ. فلم يزل كذلك حتى توفي أبو بكر وولي عمر. الرياض النضرة إضافة إلى سائر المصادر السابقة إلا الطبري فأورد الرواية إلى: فاتركوه.

ولما ولي عمر الخلافة لقيه في بعض طرق المدينة.

فقال له: إيه يا سعدا؟

فقال له: إيه يا عمرا؟

فقال له عمر: أنت صاحب المقالة؟

قال سعد: نعم، أنا ذلك وقد أفضى إليه هذا الأمر، كان والله صاحبك أحب إلينا منك وقد أصبحت والله كارها لجوارك.

فقال عمر: من كره جوار جار تحول عنه.

ذكرناه وهو يسير من كثير بان أن السكوت معه لا يدل على الرضى على أنه لا فصل بين من ادعا الإجماع على إمامة أبي بكر وبين من ادعاه على إمامة معاوية بعد ما هادنه الحسن بن علي عليه السلام، وكل ما يمكن أن نبين به أن معاوية لم يجمع على إمامته، أمكن أن نبين بمثله أن أبا بكر لم يُجمع على إمامته.

فأما ما روي من تقديم أبي بكر في الصلاة، فهو من الأخبار التي فيها نظر [١]، وإن صح فهو لا يدل على الإمامة. ألا ترى أنه يجوز أن يقدم في الصلاة من لا يصلح

فقال سعد: ما أنا غير مستتر بذلك، وأنا متحول إلى جوار من هو خير منك.

فلم يلبث إلا قليلا حتى خرج إلى الشام في أول خلافة عمر .... إلخ. طبقات ابن سعد ٣/ ١٤٥، وابن عساكر ٤/ ٩٠ بترجمة سعد من تهذيبه، وكنز العمال ٣/ ١٣٤ (٢٢٩٦ ٩، والسيرة الحلبية ٣/ ٣٩٧.

وفي رواية البلاذري: أن سعد بن عبادة لم يبايع أبا بكر وخرج إلى الشام، فبعث عمر رجلا وقال: أدعه إلى البيعة واحتل له، فإن أبى فاستعن الله عليه. فقدم الرجل الشام فوجد سعدا في حائط بحوارين — من قرى حلب — فدعاه إلى البيعة. فقال: لا أبايع قرشيا أبدا. قال: فإني أقاتلك. قال: وإن قاتلتني. قال: أفخارج أنت مما دخلت فيه الأمة. قال: أما من البيعة فإني خارج. فرماه بسهم فقتله. أنساب الأشراف ١/ ٥٨٩، والعقد الفريد ٣/ ٦٤ — ٦٥ باختلاف يسير، وأنوار اليقين/ ١١.

(١) روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرض فاشتد مرضه فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت عائشة: إنه رجل رقيق إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس فأمر ثانية فعادت فأمر ثالثة فصلى بالناس في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. أخرجه البخاري فتح الباري ٢/ ١٣٠، ومسلم بشرح النووي ٤/ ١٤٠، وقالت عائشة: لقد راجعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبداً!!

أقول وهو يمكن أن تكره عائشة هذا الخير لأبي بكر؟!! ثم هل تجوز لها هذه المراجعة التي أغضبت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إنكن لصواحب يوسف. وما يقصد بصواحب يوسف؟! مع العلم أن صواحب يوسف هن اللائي راودنه بالفحشاء عن نفسه. ثم كيف تجوز المراجعة بذلك الشكل مع قول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ

أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦]. وأيضا قالت مما حملها على المراجعة: كنت أرى أنه لن يقوم مقامه أحد إلا تشاءم الناس به فأردت أن يعدل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أبي بكر. أقول: وهذه العلة تنقض العلة الأولى، فهنالك كراهة محبة الناس له، وهنا خوف تشاءم الناس به!! فأيهما أصح؟!!

وفي رواية أخرى أخرجها البخاري الفتح ٢/ ١٣٠، ومسلم بشرح النووي ٤/ ١٤١، أن عائشة قالت: إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر!! وطلبت من حفصة أن تقول له ذلك. فغضب صلى الله عليه وآله وسلم فقالت حفصة لعائشة: ما كنت لأصيب منك خيرا. هذا عند البخاري، وعند مسلم، قالت: فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نفسه خفة فقام يُهادى بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض، قالت: فلما دخل المسجد سمع أبو بكر حسه ذهب يتأخر فأومأ إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قم مكانك فجاء رسول الله حتى جلس عن يسار أبي بكر، قالت: فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بالناس جالساً وأبو بكر قائما، يقتدي أبو بكر بصلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقتدي الناس بصلاة أبي بكر. وهو عند البخاري ٢/ ١٣٢.

أقول: لقد تغيرت العلة التي حملت عائشة على المراجعة في هذه الرواية، وهذا اضطراب واضح يضعف الرواية.

وفي رواية أخرجها البخاري الفتح ٢/ ١٣٧، ومسلم ٤/ ١٣٥. عن عائشة قالت: ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك. قال: ضعوا لي ماء في المخضب. قالت: ففعلنا فاغتسل فذهب لينوء فأغمي عليه ثم أفاق حتى أغمي عليه ثلاث مرات وهو يسأل أصلى الناس؟ ثم أرسل صلى الله عليه وآله وسلم إلى أبي بكر ليصلي بالناس. فطلب أبو بكر من عمر أن يصلي بالناس فامتنع عمر. فصلى أبو بكر تلك الأيام، ثم خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليصلي وأبو بكر يصلي بالناس فتأخر أبو بكر فأومأ إليه صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يتأخر، وجلس جنب أبي بكر وصلى به وأبو بكر يصلي بالناس.

وفي رواية للبخاري ٢/ ١٣٠، ومسلم ٤/ ١٤٢، أن أبا بكر كان يصلي الناس في وجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى إذا كان يوم الإثنين وهم صفوف في الصلاة كشف رسول الله صلى

للإمامة!! على أن التقدم في الصلاة ليس هو إيجاب إمامته. ألا ترى إلى المسلمين إذا قدموا بعضهم للصلاة لم يكن ذلك عند أحد من المسلمين موجبا لإمامته.

[إمامة الحسن والحسين]

فأما ما يدل على أن الإمامة بعد أمير المؤمنين للحسن والحسين عليهما السلام، قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « هذان إمامان إن قاما أو قعدا »[1].

ويدل أيضا على ذلك إجماع أهل البيت على القول بإمامتهما، وسنبين أن إجماع أهل البيت حجة، وعلى أنهما قد دعوا إلى أنفسهما وبويعا، ولم يكن في زمانهما

الله عليه وآله وسلم ستر الحجرة فنظر إليهم، ونكص أبو بكر على عقبه فأشار إليه صلى الله عليه وآله وسلم أن يتموا الصلاة وأرخى الستر وتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يومه.

وفي رواية للبخاري ٢/ ١٣١، ومسلم ٤/ ١٤٣. لما أقيمت الصلاة فذهب أبو بكر ليتقدم فقال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحجاب فرفعه فأومأ بيده إلى أبي بكر أن يتقدم وأرخى صلى الله عليه وآله وسلم الحجاب فلم نقدر عليه حتى مات.

أقول: ما هذا الإضطراب؟

في الرواية الأولى يكشف النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحجاب وهم يصلون فيتأخر أبو بكر فيومىء لهم صلى الله عليه وآله وسلم أن يتموا؟؟ وهنا يكشف الحجاب وأبو بكر يذهب ليتقدم ثم يتراجع فيومىء له صلى الله عليه وآله وسلم أن يتقدم.

أقول: هذا من جهة المتن، وأما من جهة السند فارجع إلى فتح الباري تجد الشارح يحاول جاهداً التوفيق والتلفيق فبعض الروايات مرسلة والأخرى موصولة، وهناك أكثر من خلل. والمقام لا يتسع وإنما أردنا الإشارة إلى تنظير الإمام المؤيد بالله على هذه الروايات والموضوع بحاجة إلى دراسة وافية، أرجو أن يتيسر لي ذلك لاحقا إن شاء الله تعالى.

(١) الحديث متلقي بالقبول عند أهل البيت عليهم السلام ولا يكاد يخلو من ذكره كتاب من العقيدة عند أهل البيت. وأخرجه الصدوق في علل الشرائع/ ٢١١، مسندا.

من يدعي الإمامة غير معاوية ويزيد، وهذان قد ظهر فسقهما وكفرهما. فبان به [١] صحة إمامتهما.

[إمامة أهل البيت]

فإن سأل سائل فقال: ما قولكم في الإمامة بعد الحسن والحسين عليهما السلام؟
قيل له: نقول إنها ثابتة في أولادهما المنتسبين إليهما من الذكور دون الإناث، لا يخرج عنهما إلا البنات، ويستدل على صحة ذلك بإجماع أهل البيت عليهم السلام، إلا أنهم لم يختلفوا في أن الإمامة لا تخرج عن البطنين.
فإن قيل: و لم قلتم إن إجماع أهل البيت حق؟
قيل له: لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي كتاب وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض » [٢].

---

(١) في المخطوطة: له. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) هـذا الحديث ورد بألفاظ متفاوتة فممن أخرجه وفيه لفظ: « وعترتي » الإمام زيد بن علي في المسند /١٠٤، والإمام الرضى في الصحيفة/ ٤٦٤، ، والحافظ محمد بن سليمان الكوفي في مناقبه المطبوعة / ١٦٧ رقم (٦٤٦) ، والإمام أبو طالب في الأمالي ١٧٩، والمرشد بالله في الأمالي/ ١٥٢، والدولاي في الذرية الطاهرة /١٦٦ رقم (٢٢٨) والبزار ٣/ ٨٩ رقم (٨٦٤) عن علي.
وأخرجه مسلم ١٥/ (بشرح النووي) ١٩٩، والترمذي ٥/ ٦٢٢ رقم(٣٧٨٨)، وابن خزيمة ٤/ ٦٢ رقم (٢٣٥٧)، والطحاوي في مشكل الآثار ٤/ ٣٦٨- ٣٦٩، وابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ٤١٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥/ ٣٦٩ (تهذيبه)، والطبري في ذخائر العقبى ١٦، البيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٣٠، والطبراني في الكبير ٥/ ١٦٦ رقم (٤١٦٩)، والنسائي في الخصائص ١٥٠رقم (٢٧٦)، والدارمي ٢/ ٤٣١، وابن المغازلي في المناقب ٢٣٤، ٢٣٦، وأحمد في المسند ٤/ ٣٦٧، وابن الأثير في أسد الغابة ٢/ ١٢، والحاكم في المستدرك ٣/ ١٤٨، وصححه وأقره الذهبي عن زيد بن أرقم.

فإن قيل: ومن أين صح لكم هذا الخبر ولا يمكنكم ادعاء التواتر فيه؟

وأخرج عبد بن حميد ١٠٧- ١٠٨(المنتخب)، واحمد ٥/ ١٨٢و ١٨٩، والطبراني في الكبير ٥/ ١٦٦، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ١٥٧ رقم (٢٦٣١)، ورمز له بالتحسين، وهو في كنز العمال ١/ ١٨٦ رقم (٩٤٥)، وعزاه إلى ابن حميد وابن الأنباري عن زيد بن ثابت وأخرجه أبو يعلى في المسند ٢/ ١٩٧و ٣٧٦، وابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ١٧٧، والطبراني في الصغير١/ ١٣١ و ١٣٥و ٢٢٦، وأحمد في المسند ٢/ ١٧، ٦/ ٢٦، وهو في كنز العمال ١/ ١٨٥ رقم (٩٤٣)، وعزاه إلى البارودي ورقم (٩٤٤)، وعزاه إلى ابنه أبي شيبة، وابن سعد، وأبي يعلى. عن أبي سعيد الخدري.

وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ٨/ ٤٤٢، وهو في الكنز ١/ ١٦٨، وعزاه إلى الطبراني في الكبير عن حذيفة بن أسيد.

وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٢١ رقم (٣٧٨٦)، وذكره في كنز العمال ١/ ١١٧،رقم (٩٥١)، وعزاه إلى ابنه أبي شيبة، والخطيب في المتفق والمفترق عن جابر بن عبد الله.

والكنجي في كفاية الطالب ١١، وابن سعد في الطبقات ٤/ ٨، ورواه في العقد الفريد ٢/ ١٥٨، و ٣٤٦. وفي تذكرة الخواص/ ٣٣٢. ورواه نور الدين الحلبي في إنسان العيون ٣/ ٣٠٨، والعزيزي في السراج المنير شرح الجامع الصغير ١/ ٣٢١، وابن الصباغ في الفصول المهمة/ ٢٤ن وشهاب الدين الخفاجي في نسيم الرياض ٣/ ٤١٠، والثعلبي في الكشف والبيان عند تفسير آية الاعتصام، وآية (أيها الثقلان). والرازي في تفسير آية الإعتصام ٣/ ١٨ وهو في تفسير النظام النيسابوري ١/ ٢٥٧، ٤/ ٩٤، وفي تفسير ابن كثير الدمشقي ٣/ ٤٨٥، و ٤/ ١١٣، ورواه في البداية والنهاية في ضمن حديث الغدير ،وابن الأثير في النهاية الجزء الأول، والسيوطي في الدر النثير/ ١٥٥، وذكره في لسان العرب في مادة عترة ومادة ثقل وحبل، والشيرازي في القاموس في مادة أو ثقل، والزبيدي في تاج العروس في مادة ثقل أيضا. وشرح نهج البلاغة ٦/ ١٣٠ في معنى العترة، ومدارج النبوة لعبد الحق الدهلوي/ ٢٥٠، والمناقب المرتضوية لمحمد صالح الترمذي الكشفي/ ٩٦، ٩٧، ١٠٠، ٤٧٢، ومفتاح كنوز السنة ٢/ ٤٤٨، ومصابيح السنة للبغوي ٢/ ٢٠٥، ٢٠٦. والصواعق المحرقة/ ٧٥، ٨٧، ٩٠، ٩٦، ١٣٦، وإسعاف الراغبين في هامش نور الأبصار/ ١١٠. وينابيع المودة/ ١٨، ٢٥.

قيل له: الذي يدل على هذا الخبر هو تلقي الأمة له بالقبول، وكل خبر تتلقاه الأمة بالقبول، فيجب له أن يكون صحيحاً مقطوعا به، وإن لم يكن في الأصل متواترا، إذ قد ثبت أن الأمة لا تجمع على الباطل.

فإن قيل: و لم قلتم وادعيتم أن أهل البيت أولاد الحسن والحسين عليهم السلام دون من سواهم؟

قيل لهم: لأن كونهم أهل البيت مجمع عليه لا خلاف فيه، وكون غيرهم من أهل البيت مختلف فيه، ولا دليل لمن يدعيه.

[شروط الإمامة]

فإن قيل: ما الصفة التي إذا حصلت في الواحد منهم صح له الإمامة؟

قيل له:

ــ أن يكون من أحد البطنين على ما ذكرنا.

ــ وأن يكون ورعا يحجزه ورعه عن ارتكاب المعاصي، والإخلال بالواجبات.

ــ وأن يكون شجاعا، يثبت في الحروب، ويهتدي في الساعات.

ــ وأن يكون عالما بأصول الدين، وبما [١] تحتاج إليه الأمة، من علم الشريعة، ولن يتم ذلك إلا بعد أن يعرف جملة من العقليات، ليتم له معرفة الله عز وجل، ومعرفة رسوله، وليتم له العلم بما يجوز أن يريده الله، وما لا يجوز أن يريده، ليصح له العلم [متى ما] [٢]، ورد خطابه تعالى عليه.

ويجب أن يكون عالماً بجملة الأخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الشرائع.

---

(١) في المخطوطة: وبما.

(٢) في المخطوطـــة: بينا. والحرف الأول مهمل إلا أن الكمبيوتر لا يكتب المهمل، و لم اهتد لمعرفتها. ولعلها مصحفة. والصواب ما أثبت أو نحوها.

ويجب أن يكون عالما بكتاب الله، وجملة من الناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، وحكم الأوامر والنواهي، والفصل بين المجمل والمفسر، وحكم الأخبار، والفصل بين ما يوجب العلم، وما يوجب العمل، وحكم أفعال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، في الوجوب وغيره، ولن يتم معرفة ما ذكرنا إلا بعد أن يكون عالماً بجملة من اللغة، والفصل بين حقائقها، ومجازها، وبجملة من النحو ليتوصل بذلك إلى المعرفة بمراد الله تعالى، ومراد رسوله بخطابهما.

ويجب أن يكون عالماً بجملة من وجوه الإجتهاد والمقاييس، ليمكنه رد الفروع إلى الأصول، فإذا اجتمع في الواحد ما ذكرنا صلح للإمامة، ولم يكن في عصره من هو أفضل منه، في جمل هذه الخلال [1].

---

(١) لم يذكـر الإمـام من شروط الإمامة التي تواضع عليها المتأخرون إلا سبعة شروط وهي الأساس والعمدة في نظره وهي:

١- البلوغ والعقل.

٢- الذكورة.

٣- الحرية.

٤- المنصب.

٥- الورع.

٦- الشجاعة.

٧- الإجتهاد.

بالنسبة للشرطين الأولين فذكرهما ضمني ، والعلم بأصول الدين، والسنة، والكتاب، ووجوه الإجتهاد تندرج كلها تحت بند الإجتهاد. وبقي مما اشتُرِط:

٨- اجتناب المهن المسترذلة.

٩- الأفضلية.

١٠- التدبير. وهذا الشرط مهم.

١١- القدرة على القيام بمهام الإمامة.

[طريق الإمامة]

فإن قيل: أخبرونا عن هذا الذي يصلح للإمامة، متى يصير إماما، يجب على المسلمين طاعته.

قيل له: [إن الأمة قد اتفقت على أن الرجل لا يصير إماما بمجرد صلاحيته للإمامة، واتفقت على أنه لا مقتضي لثبوتها إلا أحد أمور ثلاثة: النص، أوالعقد، أو الدعوة. وهي أن يباين الظلمة ، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويدعو إلى اتِّباعه. وهذا القول هو الحق لإجماع أهل البيت عليه فثبت هذا القول وبطل ما سواه و][1] لأنه لا قول إلا قول من يقول بالنص، أو قول من يقول بالعقد، [وقد فسد القول بالعقد] لإجماع أهل البيت على خلافه، وفسد قول من يقول بالنص، إذ لو كان النص على ما يقولون لكان نقله ظاهراً، ولا نقلَ لهم يصح فوجب بطلان قولهم، وإذا فسد القولان ثبت القول الثالث، وهو القول بالدعوة.

فإن قيل: فلم ادعيتم أن القائلين بالنص ليس لهم نقلٌ صحيح؟

قيل له: لأنه لا يمكنهم أن يسندوا النص الذي يدعونه في الأصل إلى عشرة أنفس ولا خمسة، ولا معتبر بكثرتهم في هذا الوقت، إذا كان أصلهم على ما ذكرنا، ومن نظر في كتبهم، وفتش أخبارهم، عرف صحة ما نقول من ضعف أخبارهم في الأصل [2].

١٢- السخاء بوضع الحقوق في مواضعها. وهذا الشرط أيضا ملحوظ ضمن الورع عند السيد المؤيد بالله.

١٣- السلامة من المنفرات نحو الأمراض المشوهة كالجذام.

١٤- سلامة الحواس والأطراف.

(١) في المخطوطة: سقط واضح. وما أثبت بين المركنين إجتهاد لإصلاح النص، وقد استوحيته من السؤال وما بقي من الجواب. وعسى أن يمن الله بنسخة أخرى.

(٢) للتوسع في البحث يُرجع إلى الرد على الرافضة للإمام القاسم بن إبراهيم الرسي بتحقيقنا.

باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن سأل سائل عما نذهب إليه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

قيل له: المعروف عندنا على ضربين:

مفروض.

ومندوب إليه.

فالأمر بالمعروف فرض، والمندوب ندب، والنهي عن جميع المناكير واجب.

والذي يدل على ذلك، قول الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ﴾ [آل عمران:١١٠]. وقوله سبحانه: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۝ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران:١١٣-١١٤]. وقال سبحانه حاكيا عن لقمان أنه قال لابنه: ﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝ ﴾ [لقمان:١٧]. وقال عز وجل: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران:١٠٤]. وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « لا يحل لعين ترى الله يعصى، فتطرف حتى تغير » [1].

فإن قيل: فعلى من يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

---

(١) رواه الهادي في الأحكام ٢/ ٥٤٠، والعلوي في الجامع الكافي ٦/ ٤٧، بلفظ: لا يحل لعين ترى الله يعصى فتطرف حتى تغيره. والإمام أحمد بن سليمان في أصول الأحكام في كتاب السير/ ٢٤٥، والأمير الحسين في الشفاء في باب ما يجب على الإمام أن يسير به في رعيته. وقال: روينا بالإسناد إلى المنصور بالله أنه روى بإسناده إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: لا يحل لعين ترى الله يعصى فتطرف حتى تغير أو تنصرف. والحديث لا يكاد يخلو منه كتاب من كتب العقيدة عند الزيدية، وإنما اكتفيت بتخريجه من كتب الحديث.

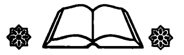
قيل له: إن ذلك على ضربين:

ضرب منهما: مثل إقامة الحدود، وسماع الشهادات، وتنفيذ الأحكام، وغزو العدو في ديارهم، وما جرى مجراه. فهذا الضرب مما لا يجوز القيام به إلا لإمام، أو من يأمره الإمام.

والضرب الثاني: منع الظالم من ظلمه، وتغيير سائر المناكير وإزالتها، فهذا وما أشبهه يجب على كل من غلب في ظنه أنه يمكنه إزالته، لا يجوز أن يتوصل إلى ذلك بأصعب الأمرين، مع التمكن [1] من إزالته بالقول، لم يكن له أن يتجاوزه إلى الضرب ، ومن أمكنه إزالته بالضرب، لم يكن له أن يتجاوزه إلى السيف، فإن لم يمكن إزالته إلا بالسيف، وجب ذلك متى تمكن منه.

والذي يبين صحة هذا، أن الغرض في ذلك هو إزالة المنكر، فإذا تم هذا بأمر كان ما عداه من الضرب لا معنى له، والضرب الذي لا معنى له يكون ظلماً، فيجب على من رأى ذلك، أن يحتاط ويتثبت، ولا يجاوز أمر الله تعالى، فإنه روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: أنه أمر رجلا بإقامة حد على رجل، فأقامه وزاده بسوطين، فأمر أمير المؤمنين عليه السلام أن يقتص للرجل منه، للمزيود من الزائد [2].

تم الكتاب بحمد الله العزيز الوهاب، فله الحمد كثيرا، وله الشكر بكرة وأصيلاً، والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، وعلى النبي وآله أفضل الصلوات.



(١) في المخطوطة: التمكين. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) لم أقف على هذه الرواية.

فهرس

